الكاتب الإسلامى

عطية عبد الرحيم عطية

محمد رسول الله

الأمى الذى علمه ربه



محمد رسول الله

النبي الأمي
الذي علمه ربه

الكاتب الإسلامي

الشيخ عطية عبد الرحيم عطية

١٤١١ هـ — ١٩٩١ م

مطبوعات الشعب
ثقافة وعلوم إنسانية لكل الشعب

سلسلة
ثقافية
ادبية
اعلامية
تصدرها :
مؤسسة
« دار الشعب »
للصحافة
والطباعة
والنشر

رئيس قطاع النشر
سعاد قنديل

□ الغلاف للفنان :
نبيل محمد فرغا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾

(العلق ١١ ــ ٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ذو الفضل الواسع والرحمة السابغة الودود المنان ، يفيض برحمته على عباده بلا سبب ولا علة ، فالفيض والعطاءُ والرحمة بعض صفاته سبحانه .

هو الذى خلق وهو الذى علم ، فمنه البدء والنشأَة ومنه التعليم والمعرفة. . وهو وحده المصدر

الذى أعطى الإنسان خلقه وعلمه ورزقه.. جل جلال الله.

وأصلى وأسلم على من علمه ربه وأمره بأن يطلب من العلم المزيد. « وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً » فعلمه بفضله مالم يكن يعلم وكان فضل الله عليه عظيماً.

... وبعد:

العلم نور من الله تعالى وهداية لأنبيائه ورسله من بدء الخليقة حيث من مستلزمات الدعوة والداعية أن يكون الداعى عالماً متعلماً متفقهاً بليغاً ليتمكن من رد كيد الكائدين والكفرة والمشركين والمنافقين وما أكثرهم فى زمن الرسل والمصلحين.

وقد وهب الله تعالى أنبياءه ورسله العلم من لدن آدم أبى البشر:

ويقول عز من قائل :

وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ
عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ
أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا
كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ [البقرة ٣١ ـ ٣٢]

فمنذ بداية البشرية ـ العلم هو المعجزة . جعله الله تعالى لآدم معجزة أمام الملائكة الذين لا يفترون عن تسبيح رب العالمين فكان العلم لآدم تكريماً وتعظيماً فى مواجهة الملائكة المقربين فمصدر العلم هو الله عز وجل . منه يستمد الإنسان كل مايعلم بقدر مايفتح الله تعالى له من أسرار هذا الوجود ومن أسرار هذه الحياة وكذا من أسرار نفسه.

ولذا كان أول خطاب من الله تعالى إلى سيد البشر الذى اصطفاه من الأميين.

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾

[العلق ١ — ٥]

ولا غرابة فإن دين الإسلام الذى ارتضاه الله تعالى لأمة محمد وجعله خاتم الأديان وجاء به خاتم الأنبياء والمرسلين هو الدين الوحيد الذى اهتم بالعلم وكرمه ، لما للقراءة والكتابة من أثر فعال فى تثبيت نظام الدين والدنيا وهما أساس العلم.

وللكتابة منافع جمة لايحيط بها إنسان . . . فما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولاضبطت أخبار السابقين الأولين ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة التى تتبعها القراءة — فهما صنوان لا يفترقان ، فالكتابة أولاً ثم القراءة ، ولولاهما ما استقامت أمور الدنيا والدين.

ولقد افترى وخاب وخسر بعض المستشرقين فى قولهم : إن محمداً كان أُمياً يجهل القراءة والكتابة ، ولذا كان كتبة الوحى يكتبون ماشاءوا ويزيدون وينقصون ومحمد لايعلم من أمر ذلك شيئاً .

وقال آخرون : إن محمداً كان فيلسوفاً ، نسوا أَن الفلسفة علم من علوم الأَرض ومحمد يتلقى الرسالة بلغة السماء .

« وقال شيرا » عميد كلية الحقوق جامعة فينا فى مؤتمر الحقوقيين عام ١٩٢٧ : (إن البشرية لتفخر بانتساب رجل كمحمد إذ أَنه رغم أُميته استطاع قبل بضعة عشر قرناً أَن يأْتى بتشريع سنكون نحن الأُوربيين أَسعد مانكون لو وصلنا إلى قمته بعد أَلفى سنة) .

وقال برناردشو :

(إن هذا العالم فى حاجة إلى رجل كمحمد يصلح شأنه وهو يحتسى قدحاً من القهوة) .

والله لقد كذب هؤلاء المفترون .. إن محمداً علمه ربه ولم يبخل عليه بأى نوع من أنواع العلم ، علمه الكتاب الذى لم يترك كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها

مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ [الأنعام ٣٨]

خاب ظنهم حسبوا أن محمداً صلى الله عليه وسلم فيلسوفا يصنع مايصنع من تلقاء نفسه ـ وأن تفكيره كتفكيرهم ، وأنه يرتاد مجالس اللهو كما يرتادون ويصنع ما يصنعون ـ لقد خابوا وافتروا .

إن محمدًا صلى الله عليه وسلم اصطفاه ربه وفضله على جميع المخلوقات ووصفه لخلقه فى كتابه العزيز وصفاً دقيقاً . فيقول سبحانه وتعالى فى شأنه صلى الله عليه وسلم :

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ

[النجم ١ – ٥]

فرب العزة علم نبيه ولم يبخل عليه ، فعلمه مالم يكن يعلم فهو الله العلى القادر شديد القوى الذى علمه ـ فأمره بين الكاف والنون كن فيكون ـ اقرأْ فكان قارئاً ـ الذى علم بالقلم فكان كاتباً بإذن ربه وطاعة لأمره سبحانه وأنزل سبحانه فى كتابه الكثير من الآيات التى تؤكد ذلك وتؤيده وسنحاول بإذن الله تعالى أن نظهرها للقارئ الكريم فى هذه الرسالة القصيرة. ولقد فصلنا فى الأبواب التى

تحتوى عليها معنى الأُميه ــ الكتابة ــ القراءة التلاوة ــ العلم ولماذا سمى القرآن كتاباً لنثبت للقارى الكريم غير المتعصب لرأى أَو مذهب متطرف أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أُمياً قبل الرسالة وهذا أَمر لاشك فيه ولا جدال ولانقاش ولا اجتهاد ــ وأَما بعد الأَربعين وبعد أَن كلف بالرسالة علمه شديد القوى مالم يكن يعلم وكان فضل الله عليه عظيماً حتى طلب منه ربه أَن يطلب من العلم المزيد « وَقُلْ رَبِّ زِدْنِى عِلْماً » .

فبالله عليك أَيها القارئ مسلماً كنت أَو غير مسلم ــ إِذا أَمرت أُمياً جاهلاً أَن يقرأَ شيئاً مكتوباً أَمامه فماذا يكون الجواب ؟

دون تفكير سيكون الجواب .

لا أعلم القراءة ، أما إذا قرأت أمامه شيئاً وطلبت منه تكرار ماقرأت فماذا يكون الجواب ؟

الأمر سهل يسير ، سيكرر ماتقول أمامه في الحال حيث لاتوجد صعوبة فى ترديد شيء يسمع
- أليس كذلك؟

ولقد أعانني الله تبارك وتعالى أن أقوم بتفصيل الأدلة على أنه الرسول المتعلم الكامل بعد أمية أربعين عاماً شهد بها العدو والصديق.

معلم الخلق اجمعين :

صلاة وسلاماً عليك يامن سبقت كل المتعلمين وَفُقْتَهُم وكنت لهم معلماً ومزكياً فصاروا أعلم علماءِ الأرض وأتقاهم وأقربهم إلى الله العلى القدير والحمد لله رب العالمين

عطية عبد الرحيم عطية

الباب الأول

الأمية

الأُمى : الذى لايكتب ـ وقيل : الأُمى العَيِي الجِلف الحافى القليل الكلام .

قال الزَّجَّاج :

(الأُمى الذى على خِلْقَةِ الأُمَّة لم يتعلم الكتاب ، فهو على جِبِلَّتهِ) .

وفى التنزيل :

وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ [البقرة ٧٨]

وقال أبو اسحاق :

معنى الأُمى : المنسوب إلى ماعليه جَبَلَتَهُ أُمُهُ أى لا يكتب فهو فى أنه لايكتب أُمىّ لأَن الكتابة هى مكتسبة ، فكأنه نسب إلى مايولد

عَلَيه ، أَى على ماولدته أُمه عليه ، وكانت الكُتَّابُ في العرب من أَهل الطائف تعلموها من رجل من أَهل الحيرة ، وأَخذها أَهل الحيرة عن أَهل الأَنبار

وفى الحـــديث :

« إنا أُمة أُمية لانكتب ولا نحسب ، أَراد أَنهم على أَصل ولادة أُمهم لم يتعلموا الكتابة والحساب على جبلتهم الأَولى » .

وفى الحـــديث :

« بعثت إلى أُمَّة أُمية » .

قيل للعـــرب :

الأُمِّيُّون لأَن الكتابة كانت فيهم عزيزة أَو عديمة ، ومنه قوله تعالى :

هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾

[الجمعة ٢]

قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

أُمّيّ ـ لأَن أَمة العرب لم تكن تكتب ولاتقرأُ المكتوب ، وبعثه الله تعالى رسولاً وهو لايكتب ولا يقرأُ من كتاب من قبل ، وعندما اختاره الله تعالى للرسالة الخاتمة أَنزل عليه الوحى من عنده فعلمه مالم يكن يعلم من أمور الدنيا والآخرة كما علمهُ القراءة والكتابة.

وهذه الخلة إحدى آياته المعجزة لأَنه صلى الله عليه وسلم تلا على قريش كتاب الله تعالى منظوماً تارة بعد أَخرى بالنظم الذى أُنزل عليه ، فلم يغيره ولم يبدل أَلفاظه ، وكان الخطيب من العرب إذا ارتجل خطبة ثم أَعادها زاد فيها ونقص ، فحفظه الله عز وجل على نبيه كما أَنزله ، وأَبانه من سائر من بعثه إليهم بهذه الآية التى باين بينه وبينهم بها .

وفى ذلك أنزل الله تعالى :

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ٤٨﴾ [العنكبوت ٤٨]

ما كنت تقرأ الكتب ولا تكتبها من قبل أن ينزل عليك هذا الكتاب ، ولو كان ذلك وكنت قبل البعثة قارئاً لارتاب وشك الذين كفروا فيما تتلوه عليهم من قرآن ولقالوا :

إنه وجد هذه الأقاصيص مكتوبة فعكف عليها فحفظها وهو الآن يتلوها علينا ، إلا أنهم متأكدون من أميتك قبل البعثة فكان العلم الذى وهبك ربك المعجزة التى أخرستهم .

« ومَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ »

لم يقل . ماكنت تتلوا من قبله ولا من بعده من كتاب ، ولكن من قبله عندما كنت أمياً حتى أحاطك الله تعالى بعلمه الذى لايعلوه علم ، فتحولت بفضله

من أُمى لايقرأ ولا يكتب إلى عالم لم يسبقه فيما تعلم أحد من الخلق أجمعين .

ولو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ظل على أُميته إلى أن لحق بالرفيق الأعلى لكان ماقال الله العلى العظيم : « وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ من كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ... » ـ لأنه الآن لايتلو ولا يكتب وسيظل كذلك إلى نهاية الحياة وبذلك يكون هناك نقص فى الرسالة ـ ولكن الله تعالى بفضله أكملها ورضيها ديناً لمن أحب :

ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا [المائدة ٣]

وتعليم النبى الأُمى من إتمام النعمة على العباد ولقد كان المشركون من أهل الكتاب يتمنون أن تتنزل عليهم مثل هذه الآية .

قال الامام احمد :

حدثنا جعفر بن عون . حدثنا أبو العميس عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال :

« جاء رجل من اليهود أى من الذين كفروا من أهل الكتاب إلى عمر بن الخطاب فقال :

ياأمير المومنين ، إنكم تقرأون آية فى كتابكم لو علينا نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا .

ـ قال عمر : وأى آية ؟

قال : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي » .

فقال عمر : والله إنى لأعلم اليوم الذى نزلت فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والساعة التى نزلت فيها ـ عشية عرفة فى يوم جمعة » .

(رواه البخارى عن الحسن بن الصباح بن جعفر بن عون ـ ورواه مسلم والترمذى والنسائى أيضاً من طرق عن قيس بن مسلم) .

وكانت الآية آخر مانزل على رسول صلى الله عليه وسلم قبل وفاته فكانت تمام العقيدة والشريعة فلم يعد لمؤمن أن يتصور أن هذا الدين بمعناه هذا فيه نقص يستدعى الإكمال ولا قصور يستدعى الإضافة ، فالشريعة الإسلامية هى الخاتمة بنزول القرآن ، وهى الشريعة والدين جاءَ للإنسان فى كل زمان ومكان ، لا لجماعة من بنى الإنسان فى جيل من الأَجيال فى أى مكان ، كما كانت تجىء الرسل والرسالات ، فكيف تكون تمام النعمة على المسلمين ، والرسول الحبيب المختار الذى كلفه بتبليغ الرسالة وأداء الأَمانة على أُميته ؟ .

حقاً أَن محمد صلى الله عليه وسلم لم يكتب ولم يقرأْ منذ ولادته حتى بعث ، نزل عليه القرآن فتلقاه مكتوباً لا مسموعاً وأَمره ربه بقراءَة ماهو مكتوب . إقرأْ : فقال :

ما أنا بقارىء – فلو كان مجرد قراءة ماهو مسموع وليس مكتوباً ماكان هناك صعوبة فى إعادة قول يسمع يدفعه لأن يقول : ما أنا بقارىء خاصة وأن القرآن ينزل عليه بلغته ولغة قومه عربياً غير ذى عوج وليس فارسياً ولا تركياً ، ولا فرنسياً – فكان الجواب ما أنا بقارىء هو عدم معرفة قراءة المكتوب أمامه ، ولذلك كان التكرار أكثر من مرة . ماأنا بقارىء ثم صدر الأمر الإلهى أن يكون قارئاً كاتباً .

ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾

[العلق ١ – ٥]

فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهو مكتوب أمامه بالقلم بإذن ربه القادر فأمره بين الكاف والنون . كن فيكون وعرف وتأكد من كل حرف

كتبه القلم بأمر الذى علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم سبحانه جل شأنه هو وحده صاحب القدرة أن يجعلك قارئاً كاتباً ويذهب عنك الامية التى تعتبر وصمة فى جبين من جهزه ربه لدعوة الخلق أجمعين لعبادته سبحانه دون غيره ، فقد سبق فى علمه اختيارك لهذا الأمر العظيم ، والله تعالى يعلم أنك ستقف فى وجه البلغاء والفصحاء ، وليس ذلك على الله بعزيز . فهو الذى اختارك لمخاطبته دون غيرك من الخلق أجمعين ، وكل مافى الوجود طوع أمره سبحانه .

اختار الله سبحانه جلت قدرته حبيبه ومصطفاه من بين خلقه ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربه ويهديهم إلى الصراط المستقيم فَعَلَّمَهُ مالم يكن يعلم من القراءة والكتابة وكان فضل الله عليه عظيما فحوله بقدرته من الأُمية التى وصفه بها جل شأنه فى قرءآته

ويقول جل شانه : ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ
ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ
يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ
وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي
كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟
ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ
ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف ١٥٧ / ١٥٨]

وفى سورة الجمعة يقول جل شانه :

﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ
ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ
لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة ٢]

فكيف يعلم الخلق ما لم يعلمه ـ أفاقد الشيء يعطيه ؟ والله لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ ويكتب بإثنتين وسبعين أو ثلاثة وسبعين لسانا .

وإنما سمى الأُمى لأَنه كان من أهل مكة وهى من أُمهات القرى .

فيا أَهل العلم والفصاحة لقد رأَيتم محمدًا الذى تربى فى وسطكم وعهدتموه أُمياً فيما بينكم هاهو ذااليوم أَكرمه ربه فآمن بكلماته التى أَعجزتكم وأَعجزت الإنس والجن فلم يتمكنوا من الإتيان بمثل هذه الآيات التى يتلوها عليكم ، ولا يمكنكم أَن تأتوا بآية ولا بحرف مما يتلوه عليكم ولو كان بعضكم لبعض ظهيرا ـ لأَنه كلام الله عز وجل وإن الرسول الذى يتلوه عليكم هو الرسول الذى كان أُمياً منكم فعلمه الله وأَرسله إليكم يأمركم بالمعروف وينهاكم عن المنكر ويحل لكم ماهو طيب حرصاً على سلامتكم ويحرم عليكم كل خبيث خوفاً عليكم ـ أَرسله سبحانه وتعالى إلى العالمين جميعاً أَلا تفكرون بعقولكم من الذى نقله من الأُمية إلى أَعلى درجات

العلم التى أهلته لأن يتلو عليكم آيات الله عز وجل ويعلمكم القرءان والحكمة وقد كنتم قبل ذلك فى ضلال واضح بَيِّن ، فآمنوا به واتبعوا النور الذى جاءكم به من عند الله الواحد الأحد لعلكم تهتدون .

قال الألوسى : ولا يخفى أن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم .

«إنَّا أُمة أُمية لانكتب ولا نحسب » ليس نَصًّافى استمرار نفى الكتابة عنه صلى الله عليه وسلم.

وعن جعفر الجواد برواية جعفر بن محمد الصوفى قال :

لم سمى النبى الأُمى ؟

فقال : مايقول الناس ؟

فقلت : يزعمون أنه سمى الأُمى لأَنه لايحسن أَن يكتب .

فقال : كذبوا ـ أَنى ذلك .

والله يقول فى محكم آياته :

هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٢

[الجمعة ٢]

فكيف يعلمهم مالا يحسن ، والله لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ ويكتب باثنين وسبعين. أو قال : بثلاثة وسبعين لساناً – وإنما سمى الأُمى لأنه كان من أهل مكة وهى من أمهات القرى .

ولتنذر أم القرى ومن حولها

وفى مرسل عبيد بن عمير أنه عليه السلام قال : « أتانى جبريل بنمط من ديباج فيه كتاب فقال : اقرأ – فقلت ماأنا بقارىء » .

قال السهيلى وقال بعض المفسرين :

إن قوله تعالى : « أَلَم ذَلِكَ الْكِتَبُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ » إشارة إلى الكتاب الذى جاء به جبريل عليه السلام حين قال لمحمد صلى الله عليه وسلم إقرأْ .

قال صلى الله عليه وسلم : « فأَخذنى جبريل فغطنى – وعند الطبرى : فغتنى بالتاء بدل الطاء ، وهو حبس النفس – حتى بلغ منى الجهد ثم أَرسلنى فقال : أقرأ ، فقلت ماأنا بقارئ فأَخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أَرسلنى فقال : أقرأْ فقلت : ماأنا بقارى فأَخذنى فغطنى الثالثة » .

وهذ الغط ليفرغه عن النظر إلى أُمور الدنيا ويقبل بكليته على ما يلقى إليه – وكرره للمبالغة – واستدل به على أَن المؤَدب لايضرب صبياً أَكثر من ثلاث ضربات(١) .

---

(١) أرشاد السارى بشرح صحيح البخارى تحقيق المؤلف ج ١ ص ٥٣ .

وقيل الغطة الأولى ، ليتخلى عن الدنيا الفانية . والثانية ليتفرغ لما يوحى إليه ، والثالثة للمؤانسة ، ـ وعد بعضهم هذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم إذ لم ينقل عن أحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أنه جرى له عند ابتداء الوحى إليه مثله يقول :ثم أرسلني فقال : «إقرأ بِاسمِ رَبِّكَ الذّى خَلَقَ ».

قال الطيبى : هذا أمر بإيجاد القراءة مطلقاً وهو لا يختص بمقروء دون مقروء ـ فقوله باسم ربك ـ حال ـ أى اقرأ مفتتحاً بأسم ربك أى قل « بسم الله الرحمن الرحيم » وهذ دليل على أن البسملة مأمور بها فى أبتداء كل قراءة (١) .

---

(١) أحاديث الوحى وكتاب الإيمان ـ أرشاد السارى تحقيق المؤلف ص ٥٢ ج ٢ .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » أى علمنى ربى فأحسن تعليمى ـ أَدَّبَه فتأدَّب ـ أى عَلَّمه .

عن أبى هريرة ـ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

لما اشتد بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعه قال : « ائتونى بكتاب أكتب لكم كتاباً لاتضلوا بعده » ـ قال عمر : إن النبي صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا ، فاختلفوا وكثر اللغط. قال : « قوموا عنى ولا ينبغى عندى التنازع » فخرج ابن عباس يقول : ان الرزيئة كل الرزيئة ماحال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كتابه .

الباب الثاني

الكتابة

الكتابة تسبق القراءة ـ والقلم يسطر والقارئ يقرأ فالقارئ إذاً يقرأ شيئاً مكتوباً ، والكتاب يطلق على كل ماهو مكتوب كما يطلق على الكتاب المنزل ، وعلى مايكتبه الشخص ويرسله .

قال أبو عمرو :

سمعت أعرابياً يمانياً يقول :

فلان لغوب ـ جاءته كتابى فاحتقرها .

فقلت :

أتقول : جاءته كتابى ؟

فقال :

أليس بصحيفة ؟

قلت :

وما اللغوب

قال :

الأَحمق .

وقيل :

كتبه أى خطَّه ، واكتتبه ، استملاه ، وكذلك استكتبه واكتتبه كتبه ، واكتتبته — كتبته .

وفى التنزيل ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ ﴾ [الفرقان ٥]

وكتب الرجل وأكتبه كتاباً :

علمه الكتاب ـ أليس ذلك اعترافاً من أهل الكتاب أنه يكتب ؟ .

وفى الحـديث :

« من نظر فى كتاب أخيه بغير إذنه فكأنما ينظر فى النار » .

قيل : هذا الحديث محمول على الكتاب الذى فيه سر وأمانة ويكره صاحبه أن يطلع عليه أحد .

وقيل :

هو عام فى كل كتاب .

وفى حديث ابن عمر رضى الله عنهما :

من أكتتب ضمنا بعثة الله ضمنا يوم القيامة — أى من كتب أسمه فى شىء لا يستحقه كتب إسمه يوم القيامة فى ديوان المحتاجين الأذلاء .

وروى الطبرى بإسناده عن عبد الله بن الزبير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فجأنى

وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب فقال : اقرأْ فقلت : ماأقرأُ ؟ فغتنى حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت ماذا أقرأْ ؟ وما أقول ذلك إلا افتداءً من أن يعود إلى بمثل ما صنع بي قال « اقرَأْ باسْم ِ رَبِّكَ الذَّى خَلَقَ . . . » إلى قوله تعالى :
(. . . عَلَّمَ الإنْسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ »

قال : فقرأْته ، ثم انتهى ثم انصرف عنى ، وهببت من نومى وكأنما كتب فى قلبى كتاباً .

قال : (ولم يكن من خلق الله أبغض على من شاعر أو مجنون ، كنت لاأُطيق أَن أنظر إليهما) .

قال : قلت : إن الأبعد يعنى نفسه ــ لشاعر أو مجنون ؟ لاتحدث بها عنى قريش أبداً ،لأعمدن

إلى حالق من الجبل فلأَطرحن نفسى منه فأَقتلها فلأَستريحن .

قال : فخرجت أَريد ذلك حتى إذا كنت فى وسط الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول : يامحمد ــ أَنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأَنا جبريل .

قال : فوقفت أَنظر إليه وشغلنى ذلك عما أَردت ، فما أَتقدم وما أَتأَخر وجعلت أَصرف وجهى عنه فى آفاق السماء فلا أَنظر فى ناحية منها إلا رأَيته كذلك ، فمازلت واقفاً أَتقدم أَمامى ولا أَرجع ورائى حتى بعثت خديجة رسلها فى طلبى حتى بلغوا مكة ورجعوا إليها وأَنا واقف مكانى ، ثم انصرف عنى وأَنصرفت عنه راجعاً إلى أَهلى »

(وقد رواه ابن إسحق عن وهب بن كيسان عن عبيد مطولاً)

ورؤيا الأَنبياءُ صدق .

وقالوا : إن المراد من القلم الكتابة التى تعرف بها الأَمور الغائبة وجعل القلم كناية عنها .

وقالوا :

أَن المراد علم الإنسان الكتابة بالقلم ، وكلا القولين متقارب إذ المراد التنبيه على فضل الكتابة .

يروى أَن سليمان عليه السلام سأَل عفريتاً عن الكلام ..

فقال :

ريح لا يبقى .

قال :

فما قيده ؟

قال :

الكتابة ، فالقلم صياد يصيد العلوم ، يبكي ويضحك ، بركوعه تَسجد الأَنام ، وبحركته تبقى العلوم على مر الليالى والأَيام نظيره قول زكريا عليه السلام :

« إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا »

أَخفى وأَسمع ، فكذا القلم لاينطق إلا أَنه يُسمع الشرق والغرب فسبحانه من قادر ! بسوادها جعل الدين منورًا ، كما أَنه جعلك بالسواد مبصرًا ، والإنسان قوام العين ، ولا تقل القلم ينوب عن اللسان ، واللسان لاينوب عن القلم ، التراب طهور ولو إلى عشر حجج ، القلم بدل ولو إلى المشرق والمغرب(١) .

روى الشعبي عن عامر بن شهر قال :

---

(١) الفخر الرازى ج ٨ ص ٤٦٢ .

أسلم عَكّ(1) ذو حيوان ، فقيل لِعَك :

إنطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذ منه الأَمان على من قِبَلكَ ومالك وكانت له قرية بها رقيق ، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

يارسول الله - إن مَالِكَ بن مُرَارة الرهاوى قدم علينا يدعو إلى الإِسلام فأَسلمنا ، ولى أَرض بها رقيق فاكتب لى كتاباً فكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« بسم الله الرحمن الرحيم - من محمد رسول الله لعَك ذى خيوان إن كان صادقاً فى أَرضه وماله ورقيقه فله الأَمان وذمة محمد صلى الله عليه وسلم .

(أَخرجه أَبو عمر وأَبو موسى)

وروى أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما

---

(١) اسمه : عك ذو حيوان

رجع من الحديبية فى ذى الحجة سنة ست أرسل الرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام وكتب إليهم كتباً .

فقيل :

يارسول الله . . إن الملوك لا يقرأون كتاباً إلا مختوماً فاتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ خاتماً من فضه — فَصُّهُ منه . نقشه ثلاثة أسطر محمد رسول الله ، وختم به الكتب ، فخرج ستة نفر منهم فى يوم واحد ، وذلك فى المحرم سنة سبع وأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه إليهم ، فكان أول رسول بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أُمية الضمرى إلى النجاشى — وكتب إليه كتابين يدعوه فى أحدهما إلى الإسلام ويتلو عليه القرآن ، فأخذ كتاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه على عينيه ونزل من على سريره فجلس على الأرض تواضعاً ، ثم أسلم وشهد شهادة الحق وقال : لو كنت أستطيع أن آتيه لآتيته ، وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإجابته وتصديقه وإسلامه على يدى جعفر ابن أبي طالب لله رب العالمين

وفى الكتاب الآخر يأمره أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب . وكانت قد هاجرت إلى أرض الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش الأسدى فتنصر هناك ومات ، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الكتاب أن يبعث إليه بمن قبله من أصحابه ويحملهم ، ففعل وزوجه حبيبة بنت أبي سفيان وأصدقه عنها أربعمائة دينار وأمر بجهاز المسلمين ومايصلحهم ، وحملهم

في سفينتين مع عمرو بن أُمية الضمري ، ودعا بِحُق من عاج فجعل فيه كتابي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :

«لن تزال الحبشة بخير ماكان هذان الكتابان بين أَظهرهما وقد كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الكثير من الكتب وأَوفد بها رسله إلى الملوك والرؤساء» .

فبعث صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة السهمي وهو أَحد الستة إلى كسرى ، يدعوه إلى الإسلام وكتب معه كتاباً ، قال عبد الله :

فدفعت إليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرىء عليه ثم أَخذه فمزقه ، فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« مزق الله مُلْكه » ، وكتب كسرى إلى باذان عامله على اليمن أَن ابعث من عندك رجلين جَلْدين

إلى هذا الرجل فليأْتيانى بخبره فبعث باذان قهر مانة ورجلا آخر ، ركتب معهما كتابا ، فقدما المدينة فدفعا كتاب باذان إلى النبي صلى الله علية وسلم ، نتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهما إلى الإسلام وفرئصهما تُرعَد وقال :

« إرجعا عَنِّى يَوْمكُما هذا حتى تَأَتيانى الغَد فَأُخْبِرَكُمَا بما أَريد فجاءاه من الغد فقال لهما :

« أَبلغا صاحبكما أَنَّ رَبى قد قتل رَبَّ كسرى فى فى هذه الليلةِ لسبع ساعات مضت منها » .

وهى ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى لأولى سنة سبع (وأَن الله تبارك وتعالى سَلَّطَ عليه ابنه شِيرَويه فقتله) فرجعا إلى باذان بذلك فأَسلم هو والأَبناء الذين باليمن .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطب ابن أَبي بلتعة اللخمى وهو أَحد الستة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية وعظيم القبط يدعوه إلى الإسلام وكتب معه كتاباً فأَوصل إليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأَه وقال خيراً . وأَكرم ضيافته .

كما بعث صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب الأَسدى وهو أَحد الستة إلى الحارث بن أَبى شمر الغسانى يدعوه إلى الإسلام وكتب معه كتاباً .

قالوا :

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم دِحْية ابن خليفة الكلبي وهو أَحد الستة إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام وكتب معه كتاباً وأَمره أَن يدفعه إلى عظيم بُصْرَى ليدفعه إلى قيصر ، فدفعه عظيم بصرى

إليه وهو يومئذ بحمص ، وقيصر يومئذ ماش في نذر كان عليه إن ظهرت الروم على فارس أن يمشى حافيا من قسطنطنية إلى إيلياء ، فقرأ الكتاب وأذن لعظماء الروم فى دكسرة له بحمص فقال :

يامعشر الروم .. هل لكم فى الفلاح والرشد ، وأن يثبت لكم ملككم وتتبعون ما قال عيسى بن مريم ؟

قالت الروم : وماذاك أيها الملك ؟

قال :

تتبعون هذا النبي العربى – (ولم يقل الأُمى) – قال : فحاصوا حيصة حُمُر الوحش ، وتناجزوا ورفعوا الصليب ، فلما رأى هرقل ذلك منهم يئس من إسلامهم وخافهم على نفسه وملكه ، فسكنهم

ثم قال : إنما قلت لكم ماقلت أختبركم لأنظر كيف صلابتكم فى دينكم فقد رأيت منكم الذى أحب فسجدوا له .

قال ابن سعيد فى الطبقات الكبرى :

أخبرنا الهيثم بن عدى الطائى قال :

أنبأنا مجالد بن سعيد وزكريا بن أبى زائدة عن الشعبى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب كما تكتب قريش . (باسمك اللهم) حتى نزلت عليه «

ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ

[هود ٤١]

فكتب (باسم الله) حتى نزلت عليه « قُلْ ادْعُوا اللهَ أَوَ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ » : (الاسراء ١١٠)

فكتب باسم الله الرحمن حتى نزلت عليه

« إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمٰنَ وإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ »

فكتب بسم الله الرحمن الرحيم .

وقال هاشم بن محمد قال :

حدثني رجل من بني بُحْتر من طيء قال :

وَفَدَ عَلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد ابن جابر بن ظالم بن حارثة بن عتاب أَبي حارثة ابن جُدَيّ بن تَدُول بن بحتر فأَسلم وكتب له كتاباً هو عند أَهله بالجبلين وهناك الكثير من هذه الكتب يضيق المكان بذكرها .

وتلك أَمثلة من الكتب التي كتبها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقلمه .

وهناك صورة أُخرى مما كتب وكانت مختومة بخاتمه إلا أَنه صلى الله عليه وسلم أَمر بعض الصحابة بالشهادة عليها .

الباب الثالث

كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل نجران

قالوا : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل نجران :

« هذا كتاب من محمد النبى رسول الله لأهل نجران أنه كان له عليهم حُكْمُهُ فى كل ثمرة صفراء أو بيضاء أو سوداء أو رقيق فأفضل عليهم وترك ذلك كلّه على ألفى حلة جلل الأواقى ، فى كل رجب ألف حلة .

وفى كل صفر ألف حلة ، كل حُلة أوقية فمازادت حلل الخراج أو نقصت على الأواقى فبالحساب وما قبضوا من دروع أو خيل أو ركاب أو عَرْض أخذ منهم فبالحساب وعلى نجران مَثْواةُ رسلى عشرين يوماً ، فدون ذلك ولاتُحْبَسُ رسلى فوق شهر ، وعليهم

عارية ثلاثين درعا وثلاثين فرساً وثلاثين بعيرا ، إذا كان باليمن كيدٌ ، وما هلك مما أعادوا رسلي من دروع أو خيل أو ركاب فهو ضمان رسلي حتى يؤدوه إليهم ، ولنجران وحاشيتهم جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أنفسهم وملتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وبِيَعِهِمْ وصلواتهم ، لايغيرون اسقفاً عن اسقفيته ولاراهبا عن رهبانيته ولا واقفاً عن وقفانيته ، وكل ماتحت أيديهم من قليل أو كثير وليس ربا ولا دم جاهلية ومن سأل منهم حقاً فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين لنجران ، ومن آكل ربا من ذى قبل فذمتي منه بريئة ، ولا يؤاخذ أحدمنهم بظلم آخر ، وعلى مافى هذه الصحيفة جوار الله وذمة النبي أبدا

حتى يأتى الله بأمره إن نصحوا واصلحو فيماعليهم غير مثقلين بظلم » .

حضر هذا الكتاب من الصحابة ممن يجيدون القراءة والكتابة ولم يكتب منهم أحد وإنما كانوا عليه شهودًا وهم : (أبو سفيان بن حرب ، وغيلان ابن عمرو ، ومالك بن عوف النصرى ، والأقرع بن حابس ، والمستورد بن عمرو أخو بَلىّ ، والمغيرة بن شعبة ، وعامر مولى أبى بكر)[1]

ومنها ما كتبه صلى الله عليه وسلم لسلمة بن مالك السّلمى .

وهذا ما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم لِسَلَمَةَ بن مالك السّلمى أعطاه مابين ذات الحناطى إلى ذات الأساود لايحاقه فيها أحد .

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٥٤ مسلسل ٢٧٨ .

(وشهد على بن أبى طالب ، وحاطب بن أبى بلتعة) لم يكتب أحدهما ولكنهما شاهدان فقط .

وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنى جَنَاب من قبيلة كلب :

« هذا كتاب محمد النبي رسول الله لبنى جناب وأحلافهم ومن ظَاهرهُم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والتمسك بالإيمان والوفاء بالعهد وعليهم الهَامِلَة الراعية (١) فى كل خَمْس شاةٌ غير ذات عوار (٢) والحمُولَةُ (٣) المائرة لهم لاغية والسّقى(٤) والرِّوَاءُ والعِذْىُ(٥) من الأَرض يقيمه الأَمين وظيفة لا يُزَادُ عليهم ».

شهد سعد بن عبادة وعبد الله بن أنسى ودحية بن خليفة الكلبى .

---

(١) الهاملة الراعية : التى أهملت ورعت بنفسها .

(٢) العوارة : العيب .

(٣) الحمولة المائرة : الإبل التى تحمل لهم الميرة أى الطعام .

(٤) السقى الرواءت الماء الكثير .

(٥) العذى : الأرض الطيبة التربة البعيدة عن المياه والسباخ .

لم يذكر فى أى من الكتب التى كتبها أو أملاها : من محمد النبي الأمى .. ولكن من محمد رسول الله .

وهناك كتب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر أحد الصحابة بإتمام الكتابة – وهذا هو الكتاب الذى أرسله صلى الله عليه وسلم لوائل بن حجر لما أراد الشخوص إلى بلاده – قال : يارسول الله أكتب إلى قومى كتاباً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أكتب يامعاوية : إلى الأقيال العباهلة ليقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة والصدقة على التيعة السائمة لصاحبها التيمة لا خلاط. (١) ولا وراط. (٢)

(١) خلاط من المخالطة والمراد به أن يخلط الرجل إبله بابل غيره أو بقره أو غنمه ليمنع حق الله منها .

(٢) الوراط : أن تجعل الغنم فى وهدة الأرض لتخفى على المصدق .

ولا شغار(١) ولا جلب(٢) ولا جَنَبٍ (٣) ولا شفاق (٤) وعليهم العون لسرايا المسلمين ، وعلى كل عشرة ما تحمل العراب من أجباء فقد أرْبى » . (أى من الإجباء ، وهو بيع الزرع قبل نضجه)

وقال وائل :

يارسول الله أكتب لى بأرضى التى كانت فى الجاهلية ، وشهد له أقيال حمير وأقيال حضرموت فكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا كتاب من محمد النبي لوائل بن حُجر قيْل حضرموت وذلك أنك أسلمت وجعلت لك مافى يديك من

(١) نكاح التبادل دون مقابل للطرفين .

(٢) ينزل المصدق موضعاً ثم يرسل من يجلب له الأموال ليأخذ صدقتها فنهى عن ذلك وأمر أن تأخذ الصدقات على مياههم وأماكنهم .

(٣) جنب أى ينزل العامل بأقصى مواضع أصحاب الصدقة ثم يأمر بالأموال أن تجنب إليه أى تحضر .

(٤) ما بين الفريضتين من كل ما تجب فيه الزكاة وهو مازاد على الإبل من الخمس إلى التسع ومازاد منها على العشر إلى أربع عشرة .

الأَرضين والحصون وأنه يؤْخذ منك من كل عشرة واحدٌ ينظر فى ذلك ذوا عدْل وجعلت لك أَنْ لاتُظلمَ فيها ما قام الدين والنبي والمؤمنون عليه أَنصار » .

قالوا : وكان الأَشعث وغيره من كندة نازعوا وائل بن حُجْر فى واد بحضرموت فادَّعوه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب به رسول الله صلى الله عليه وسلم لوائل بن حُجر .

نلاحظ أَنه عند بداية الحديث أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَمر معاوية أَن يكتب . وعندما قال وائل : أَكتب لى يارسول الله بأَرضى. فكتب له : « هذا كتاب من محمد لوائل. . » ولم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم أَكتب يامعاوية(١) .

وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لوفد

---

(١) الطبقات الكبرى ص ٥٢ ج ٢ مسلسل ٢٧٦ .

ثمالة والحدَّان : « هذا كتاب من محمد رسول الله لبادية الأَسياف ونازلة الأَجوافِ مما يلى حَاذَتْ صُحَارَ ليس عَلَيْهم فى النخل خَراصٌ ولا مكيالٌ مُطبّقٌ حَتى يوضعَ فى الفَدَاءِ ، وعليهم فى كلِّ عَشْرَةِ أَوساق وسق » .

«وكاتب الصحيفة ثابت بن قيس بن شماس»

ونرى أَن كل كتاب أَرسل ـ مثبوت فى آخره أسم الكاتب إلا ماكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو خال من اسم الكاتب لأَنه هو صلى الله عليه وسلم الذى كتب ـ كما نلاحظ. أَنه ليس من بين الكتب كتابٌ واحد ذكر فيه من النبى الأُمى ، ولكن نرى أَنه من محمد رسول الله أَو من نبى الله ذلك لزوال صفة الأُمية عنه صلى الله عليه وسلم حتى أَن قيصر عندما قرأَ كتاب رسول الله وتحدث

مع أهله قال : هو النبي العربي ولم يقل النبي الأمى
وهذا مما يؤكد أن الأمية كانت قبل الرسالة .

والقرآن كتاب :

فيقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز : ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠ ﴾ [الواقعة ٧٧ — ٨٠]

وفى آيه آخرى : ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا إلا سحر مبين »
(الأنعام ٧)

وفى القرآن كثير من الآيات التى تدل على أن القرآن كتاب :

ألا ترى معى أيها القارئ الكريم أنه كلما ارتفع الإنسان وعلا قدره تكثر أعباؤه التى تلزمه أن يستعين بغيره فى العمل الذى يجيده أكثر ممن يستعين بهم فلصالح الأمة لابد أن يكون له

أكثر من كاتب وليس ذلك دليلا على أميته ، ولكنها صفة العظماء منذ الأزل .

فبالله عليك أيها المسلم الفاهم العالم إن استعنت بالكتبة فى عملك ـ أيكون ذلك دليلاً على جهلك؟

أليس فى دور العلم والدين من يكتبون ـ وفى دور القضاء والعدل من يكتبون ؟ أيكون ذلك دليلا على أمية العلماء والقضاة والمستشارين ؟ وهل هناك مايمنع أن تكون عالماً بأمور الدين والدنيا ومعك من يساعدك ويعاونك ؟ .

نرجو إجابة خالية من التعصب لرأى جانح فنحن جميعاً نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من أنفسنا وأموالنا وأولادنا ، ولكنه اختلاف رأى نرجو أن نصل به إلى الفهم الصحيح ـ ونأمل التمهل والتفكر العميق حتى نرد كيد الكائدين

لأحب خلق الله على الله وأحبهم إلى نفوسنا أجمعين – إن كتبة الوحي ليسوا أعلم ممن نزل عليه الوحي – فهم يعرضون عليه مايكتبون للمراجعة ، وكيف يراجع شيئاً لا يمكنه أن يتعرف على حروفه وقراءته وكتابته ؟ .

كتابه صلى الله عليه وسلم في جمع الصدقات

لما نزلت فرائض الصدقة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقة من المسلمين رجلا من جهينة ورجلا من سليم وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين .

وقال لهما :

مرّا بثعلبة وبغلان رجل من بني سليم فخذا صدقاتهما وكان ثعلبة بن خاطب الأنصاري قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً وقال :

يارسول الله . ادع الله أن يرزقني مالا .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ويحك ياثعلبه ، قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه .

قال ثم قال مرة أخرى .

فقال صلى الله عليه وسلم :

(أما ترضى أن تكون مثل نبى الله ؟ فوالذى نفسى بيده لوشئت أن نسير الجبال معى ذهباً وفضة لسارت

قال والذى بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقنى مالا لأعطين كل ذى حق حقه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اللهم ارزق ثعلبة مالا) قال : فاتخذ غنماً فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل وادياً من أوديتها حتى يصلى الظهر والعصر فى جماعة ويترك ماسواهما ، ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الصلوات إلا الجمعة وهى تنمى كما ينمى الدود حتى ترك الجمعة ، فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة ليسألهم عن الأخبار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(ما فعل ثعلبة ؟) فقالوا : يارسول الله اتخذ غنماً فضاقت عليه المدينة فأخبروه بأمره فقال :

(ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة ، ياويح ثعلبة) .

ونزل قول الله تعالى :

(خذ من أموالهم صدقة . . . الآية) .

فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجلين بعثهما على الصدقة كيف يأخذان الصدقة من المسلمين وقال لهما (مرا بثعلبة وبفلان رجل من بنى سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا بثعلبة فسألاه الصدقة ، وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال :

ماهذه إلا جزية ماهذه إلا أخت الجزية ، ما أدرى ماهذا ؟ إنطلقا حتى تفرغا ثم عودا إلى ، فانطلقا وسمع بهما السلمى ، فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها ، فلما رأوها قالوا : ما يجب عليك هذا ، وما نريد أن نأخذ هذا منك .

فقال: بلى خذوها فان نفسى بذلك طيبة وإنما هى له ،

فأخذاها منه ومرا على الناس فأخذا الصدقات ، ثم رجعا إلى ثعلبة فقال :

أرونى كتابكما فقرأه فقال :

ماهذه إلا جزية ، ماهذه إلا أخت الجزية ، انطلقا حتى أرى رأيي ، فانطلقا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال :

ياويح ثعلبة ، قبل أن يكلمهما ، ودعا للسلمى بالبركة فأخبراه بالذى صنع ثعلبة والذى صنعه السلمى .

فأنزل الله تعالى :

(ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن) التوبة ٧٥ .

قال وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال :

ويحك يا ثعلبة ، قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حين أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال :

(إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك) .

فجعل يحثو التراب على رأسه

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(هذا عملك ، قد أمرتك فلم تطعنى ، فلما أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيئاً ورجع إلى منزله فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه صدقة ، ثم أتى أبا بكر رضى الله عنه حين استخلف ، فقال : قد علمت منزلتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعى من الأنصار فاقبل صدقتى فقال أبوبكر: لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أبوبكر أن يقبلها ، وكذلك لم يقبلها منه عمر ولا عثمان . فخسر الدنيا والآخرة .

الباب الرابع

لماذا سمي القرآن كتاباً ؟

سمى القرآن كتاباً لأنه نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ حتى وضع فى بيت العزة فى السماء الدنيا .

قال ابن عباس رضى الله عنهما :

أُنزل القرآن جملة واحدة من عند الله من اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام البررة الكاتبين فى السماء الدنيا ، فنجمته السفرة على جبريل عشرين ليلة ، ونجمه جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم عشرين سنة .

ـ وذلك دليل على أن جبريل كان ينزل بالقرآن منجماً مكتوباً على رسول الله ـ أو ليست هذه العشرين التى نزل جبريل فيها بالقرآن منجماً مكتوباً بكافية على من اختاره الله واصطفاه أن يتعلم القراءة والكتابة ؟ .

ولو نظرنا فى كتاب الله تعالى لتبين لنا أن الله تعالى علم نبيه مالم يكن يعلم ومع ذلك كان يأمره أن يطلب من المعلم المزيد : « وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً »

قال على بن سهل النيسابورى :

قال جماعة من العلماء :

نزل هذا القرآن جملة واحدة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى بيت يقال له بيت العزة فحفظه جبريل وغشى على أهل السموات من هيبة كلام الله — لما أفاقوا مر بهم جبريل — فقالوا : ماذا قال ربكم ؟ .

قالوا . الحق يعنى القرآن ، وهو معنى قوله تعالى : « حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ » فأتى به جبريل إلى بيت العزة فأملاه على السفرة الكتبة من الملائكة ، وهو معنى قوله تعالى : « بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ » .

وفى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أقرأنى جبريل على حرف فراجعته ، فلم أزل أستزيده ويزيدنى حتى انتهى إلى سبعة أحرف »

قال ابو عبيدة :

سمى القرآن لأنه جمع السور بعضها إلى بعض

وقال الراغب : لايقال لكل جمع قرآن ، ولا لجمع كل كلام قرآن .

وقال : سمى قرآنا لأن القارئ يظهره ويبينه من فيه أخذا من قول العرب .

والعلم الذى أفاض به الله الخالق على خلقه بدايته القلم : « إقْرأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ، الذَّى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ » - « ن * والقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ » فالقلم كان ومايزال أقوى وأعظم وأعمق أدوات التعليم أثرًا فى حياة الإنسان ،والله تعالى يعلم قيمة القلم ، فكان أول شيء خلق ، وكان أول مانزل على سيد

البشر صلى الله عليه وسلم : « اقْرأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذَّي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الاكرمُ الذى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ » وتبع ذلك قوله تعالى : « ن * والْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ » فبالقلم تصان العلوم وتحفظ الفنون.

عن أَبي هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« إن أول شيءٍ خلق الله القلم ثم خلق النون وهى الدواة ، ثم قال للقلم : أَكتب قال : وما أَكتب

قال : أَكتب مايكون وماهو كائن من عمل أَو رزق أَو أَثر أَو أَجل ، فكتب ذلك إلى يوم القيامة » ، وذلك قوله تعالى : « ن، والْقَلَمِ ومَايَسْطُرُونَ » .

ثم ختم على القلم فلم يتكلم إلى يوم القيامة ، ثم خلق العقل وقال : « وعزتى لأُكملنك فيمن أَحببت ولأُنقصنك ممن أَبغضت » .

(رواه ابن عساكر عن أبى عبد الله مولى بنى أمية عن أبى صالح عن أبى هريرة) .

ولقد سمى الله تعالى القرآن كتاباً فى كثير من الآيات

فمنها قوله تعالى : الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ [البقرة ١ - ٢]

ويقول جل شأنه :

لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ

[الأنبياء : ١٠]

ويقول جل شأنه :

أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ [فاطر : ٤٠]

ويقول جل شأنه :

ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا [الزمر : ٢٣]

ويقول جل شأنه :

أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ۝٢١

[الزخرف : ٢١]

ويقول جل شأنه :

قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ

[الأحقاف : ٣٠]

الباب الخامس

الكتابة والقراءة صنوان

الكتابة مرتبطة بالقراءة :

وقيل :

الكتاب لأنه مكتوب ،

والقرآن كتاب مكتوب :

يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ

(النمل ٢٩)

تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ [الشعراء : ٢]

وقوله تعالى : وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ [العنكبوت ٤٨]

أى ماكنت تقرأ من كتاب من قبل أن ينزل عليك هذا القرآن ، وماكنت كذلك تقرأ شيئاً مكتوباً ، ولو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ظل أمياً لايقرأ ولايكتب فأين المعجزة ؟ وأين العلم الذى أمره ربه أن يطلب منه المزيد – وهل فى

الوجود علم كامل يتمتع به أُمى يجهل القراءة والكتابة ؟

فيقول عز من قائل :

﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾
[العنكبوت : ٥١]

والكتاب مكتوب كما أوضحنا – ويوم القيامة يتلقى كل إنسان كتابه ويقول له ربه :

﴿ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾
[الإسراء : ١٤]

كما يقول جل شانه :

﴿ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَـٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ ﴾
[الإسراء : ٧١]

فمن أعطاه الله تعالى كتابه المكتوب مدونا به أعماله من خير شر فإذا هو يقرؤه – فى يوم يقرأ فيه الأُمى والمتعلم : « اقْرَأْ كِتَابَكَ » .

عن أبى راشد الحبرانى قال : أتيت عبد الله ابن عمرو رضى الله عنهما فقلت له :

حدثنا عما سمعت من رسول صلى الله عليه وسلم ، فألقى بين يدى صحيفة فقال :

هذا ماكتب لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظرت فإذا فيها أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال :

يارسول الله — علمنى ماذا أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ياأبا بكر . . قل : اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة لاإله إلا أنت رب كل شىء ومليكه — أعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان

وشركه ، أَو أَقترف على نفسى سوءا أَو أَجره إلى مسلم » [1] .

لماذا لم يتمل عبد الله بن عمرو – هذا ماأَملاه على رسول الله صلى الله عليه وسلم أَو هذا ماأَملاه رسول الله صلى الله عليه وسلم على فلان فكتبه؟ .

عن الزهرى أَن النبي صلى الله عليه وسلم كان بحراء إذ أَتى ملك بنمط من ديباج فيه مكتوب : « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذى خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الذى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب إلى الملوك والعظماء يدعوهم إلى عبادة الله الواحد

---

(١) رواه الترمذى عن الحسن بن عرفه عن إسماعيل بن عباس به وقال . حسن غريب من هذا الوجه .

وكان يكتب بعضها ويأمر بعض الصحابة بكتابة البعض بلغة الملوك والعظماء بلغة غير العربية .

وقد أنزل الله تعالى الكتاب لاشك فيه لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها : .

« مافرطنا فى الكتاب من شئ . »

« الم ، ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين »
(البقرة ١ ـ ٢)

« لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون »
(الأنبياء ١٠)

كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ [الإعراف : ٢]

«كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته »
(ص ٩)

كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا [فصلت : ٣]

كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩ [المطففين : ٩]

ولونزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه »
(الأنعام ٧)

هذا سؤال يطرح نفسه :

ما دام رسول الله صلى الله عليه وسلم أُمياً حتى نهاية الرسالة . فلماذا ينزل الله تعالى عليه كتاباً يقرأ ؟ .

أما كان في قدرة الله عز وجل أن ينزل شيئاً يؤدى الغرض ويكون غير مكتوب ؟

بالله عليك إذا عرفت إنساناً لايقرأ ولايكتب حتى بلغ الأربعين وفجأة ودون مقدمات رأيته يقرأ ويكتب بفصاحة وبلاغة لم يسبق لها مثيل وفى نفس الوقت سبق العلماء والفصحاء وأصبح لهم معلماً يعلمهم الكتاب والحكمة ويعلمهم مالم يكونوا يعلمون أليست تلك معجزة لم يسبق لها نظير ؟

الباب السادس

رسول الله صلى الله عليه وسلم علّم الناس بعد الجهالة

قال ابن سعد :

حدثنا محمد بن سعد بن اسماعيل بن أبى فديك عن موسى من يعقوب الزمعى عن سهل مولى عتمة أنه كان نصرانياً ، وكان يتيماً فى حجر عمه وكان يقرأ الإنجيل .

قال :

فأخذت أنجيلا لعمى فقرأته حتى مرت بى ورقة أنكرت كثافتها فاذا هى ملصقة ففتقتها .

فوجدت فيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم .

أنه لاقصير ولاطويل ، أبيض بين كتفيه خاتم النبوة ، يكثر الاختباء ، ولايقبل الصدقة ، ويركب الحمار والبعير ، ويحتلب الشاة ، ويلبس قميصاً مرقعاً ، وهو من ذرية إسماعيل اسمه أحمد قال :

فجاء عمى فرأى الورقة فضربنى .

وقال :

مالك وفتح هذه الورقة ؟

فقلت :

فيها نعت النبي أحمد .

فقال :

إنه لم يأت بعد :

وقال وهب :

أوحى الله إلى أشعيا أنى مبتعث نبياً أفتح به آذاناً صماً . وقلوباً غلفا ، أجعل السكينة لباسه ، والبر شعاره والتقوى ضميره . والحكمة مقوله ، والوفاء والصدق طبيعته والعفو والمغفرة والمعروف خلقه ، والعدل سيرته ، والحق شريعته ، والهدى أمامه ، والإسلام ملته ، وأحمد أسمه أهدى به بعد الضلالة . (وأعلم به بعد الجهالة) وأكثر به بعدا لقلة ، أؤلف به بين قلوب مختلفة وأهواء متشتته . وأمم عنه مختلفة ، وأجعل أمته خير أمة ، وهم رعاة الشمس ، طوبى لتلك القلوب .

ما كتبه صلى الله عليه وسلم فى صلح الحديبية

حدثنا هارون بن اسحاق قال :

حدثنا مصعب بن المقدام ، حدثنا سفيان بن وكيع .

قال :

حدثنا اسرائيل ، حدثنا أبواسحق عن البراء بن عازب .

قال :

اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى يقاضيهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام .

فلما كتب الكتاب ـ كتب :

(هذا ما تقاضى عليه محمد رسول الله .

قالوا :

لو نعلم أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعناك ولكن أنت محمد بن عبد الله .

فقال :

أنا رسول الله ومحمد بن عبد الله .

وقال لعلى بن أبى طالب :

أمح رسول الله .

قال على :

والله لاأمحاك أبدا .

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس يحسن الكتابة .

فكتب محمد مكان رسول الله .

ثم كتب :

(هذا ما قاضى عليه محمد ، لايدخل مكة بالسلاح إلا السيوف فى القراب . . . إلى آخر الكتاب) .

ولما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم رد أبابصير وأرسله مع سفيرى قريش .

انطلق منهم حتى كان بذى الحليفة فقتل أحدهما ، ثم خرج حتى أتى العيص من ناحية ذى المروة على ساحل

البحر بطريق قريش التى كانوا يأخذون إلى الشام ، وبلغ المسلمين الذين كانوا اختبئوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بصير .

(ويلمه أمة مسعر حرب لو كان معه رجال) (١) .

فخرجوا إلى أبي بصير بالعيص فاجتمع إليهم قريب من سبعين رجلا منهم ، وقد ضيقوا على قريش لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه » .

ولا تمر بهم عير إلا اقتطعوها ، حتى كتبت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله بأرحامها إلا آواهم ، فلا حاجة لنا بهم .

فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بصير بالمجيء إلى المدينة .

فقرأ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على فراش الموت فتوفى أبو بصير .

ورجع سائر أصحابه إلى المدينة كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى خالد بن الوليد

كتب خالد بن الوليد رضى الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بلاد بلحارث .

---

(١) عبارة تقال تعجباً فى الشجاعة والجرأة والإقدام .

بسم الله الرحمن الرحيم . .

إلى محمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

من خالد بن الوليد .

السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته .

فانى أحمد الله إليك الذى لاإله إلا هو .

أما بعـــد يارسول الله . .

فانك بعثتنى إلى بنى الحارث بن كعب وأمرتنى إذا أتيتهم ألا أقابلهم ثلاثة أيام وأدعوهم إلى الإسلام ، فان أسلموا قبلت منهم وعلمتهم تعاليم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه . وإن لم يسلموا قاتلتهم .

وإنى قدمت إليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمرتنى وبعثت فيهم ركبانا .

يا بنى الحارث . اسلموا تسلموا ، وأسلموا ولم يقاتلوا وأنا مقيم بين أظهرهم آمرهم بما أمر الله به وأنهاهم

عما نهى الله عنه ، وأعلمهم معالم الإسلام ، وسنة النبي عليه الصلاة والسلام .

فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم .

من محمد النبي رسول الله.

إلى خالد بن الوليد .

سلام عليك ، فاني أحمد الله إليك الذى لاإله إلا هو

أما بعـــد . .

فان كتابك جاءنى مع رسولك يخبرنى أن بنى الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم ، وأجابوا إلى ما دعوتهم من الإسلام وشهدوا أن لاإله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله .

وأن قد هداهم الله بهداه ، فبشرهم وأنذرهم وأقبل وليقبل معك وفدهم .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

كتابه صلى الله عليه وسلم إلى النجاشى ملك الحبشة

قال محمد بن اسحاق :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى ملك الحبشة فى شأن جعفر بن أبى طالب وأصحابه .

وكتب معه كتاباً ، وذلك عند الهجرة الأولى إلى الحبشة .

بسم الله الرحمن الرحيم .

هذا كتاب من محمد رسول الله .

إلى النجاشى الأصحم ملك الحبشة

سلام عليك . .

فانى أحمد الله إليك – الله الملك القدوس المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطاهرة الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى ، فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه ، وإنى أدعوك إلى الله وحده لاشريك له ، والموالاة على طاعته وأن تتبعنى فتؤمن بى وبالذى جاءنى فإنى رسول الله .

وقد بعثت إليك ابن عمى جعفر بن أبى طالب ومعه نفر من المسلمين جاءوك فاقرهم ودع التجبر .

فانى أدعوك وجنودك إلى الله عزوجل .

وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتى والسلام على من اتبع الهدى .

فكتب النجاشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بسم الله الرحمن الرحيم .

إلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من النجاشى الأصخم بن أبحر .

سلام عليك يا نبي الله ورحمة من الله وبركاته .

قد بلغنى كتابك يارسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا ، وقربنا ابن عمك وأصحابه .

فأشهد أنك رسول الله صادقاً ومصدقاً وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين .

وقد بعثت إليك يارسول الله بأريحا بن الأصحم ابن أبحر فاني لاأملك إلا نفسي ، وإن شئت أن آتيك فعلت يارسول الله فاني أشهد أن ما تقول حق .

نرى النجاشي لم يكتب في خطابه من النجاشي إلى محمد رسول الله ولكنه كتب إلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من النجاشي تعظيماً له صلى الله عليه وسلم واحتراماً فلم يقدم اسمه على اسمه صلى الله عليه وسلم مبالغة في الاحترام والتعظيم .

رسول الله صلى الله عليه وسلم والنبوة

عن عمر بن عبد العزيز آخر الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم .

قال :

عن عمر بن عبد العزيز :

لما أمرت الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام كان أول من سجد من الملائكة اسرافيل ولذا كرمه الله عزوجل فآتاه الله أن كتب القرآن على جبهته .

ولذا أنزل اسرافيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في سن الأربعين .

ولذا قال الامام أحمد

حدثنا محمد بن أبي عدى الأنصارى عن داود بن أبي هند عن عامر الشعبي - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة ، فقرن بنبوته اسرافيل ثلاث سنين ، فكان يعلمه الكلمة والشيء ، ولم ينزل القرآن ، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة ، عشرة بمكة وعشرة بالمدينة . ومات وهو ابن ثلاث وستين سنه)

وقال أبونعيم من حديث المعتمر عن أبيه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خائف يرتعد .

(ماقرأت كتاباً قط ولا أحسنه وما أكتب وما أقرأ .

وعن عكرمة عن ابن عباس قال :

أنزل الوحى على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وأربعين سنه .

وعن سعيد بن المسيب .

قال :

أنزل الوحى على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .(ابن حرير ج٢ ص٢٩٤)

ورد في صحيح البخارى ٧ـ ٤٠٣ ـ ٤٠٩
فى صلح الحديبية :

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن الكتابة فكتب :

« هذا ماقاضى عليه محمد بن عبد الله. . . » الحديث .

ويقول الإمام تقى الدين أحمد بن على المقريزى فى كتابه : إمتاع الأسماع ص ٥٤٥ ج ١ :

واشتد به صلى الله عليه وسلم وجعه يوم الخميس فقال : « ائتونى بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبدا » فتنازعوا .

فقال بعضهم : مالَهُ ؟ أَهَجَر ؟

وهجر المريض والنائم إذا هذى وتكلم ، وقد

هجر العقل الذي يضبط الإرادة ويوجهها إلى المعاني – استعيدوه –

وقالت زينب بنت محسن وصواحبتها :

ائتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحاجته.

فقال عمر رضي الله عنه :

قد غلبه الوجع ! وعندكم القرآن ! حسبنا كتاب الله ، من لفلانه وفلانة ؟

يعني مدائن الروم . إن النبي صلى الله عليه وسلم ليس بميت حتى يفتحها – ولو مات لانتظرته كما انتظرت بنو إسرائيل موسى .

فلما لغطوا عنده قال :

« دعوني – فما أنا فيه خير مما تسألوني » .

ثم أوصاهم بثلاث :

« أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو مما كنتم ترونى أجيزهم ، أنفذوا جيش أسامة — قوموا » .

وفى الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إنى تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً . كتاب الله وسنتى ، فإن خرجتم عنها سلط الله عليكم بذنوبكم من لا يخافه ولا يرحمكم حتى تعودوا إلى سنتى .

الباب السابع

القـــراءة

قرأ الكتاب قراءة ـ وقُرآناً بالضم ، وقرأ الشيء وجمعه ومنه سمى القرآن .

إن أول مانزل من القرآن بالاتفاق :

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾

[العلق ١ ـــ ٥]

فكل علم أيا كان نوعه أساسه القلم ، ويأمر رب العزة رسوله وحبيبه بأن يقرأ ـ وليس فى الوجود من يطيع أمر ربه أكثر من محمد صلى الله عليه وسلم : « كن يامحمد قارئاً بإذن ربك ماهو مكتوب أمامك » .

وبما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إلى لحظة نزول القرآن لايعلم شيئاً من أمر الكتابة والقراءة فقد كان أمياً ، وهذا أمر لاشك فيه يؤكده العدو والصديق — ولذا كان الجواب :

ما أنا بقارئ — فتكرر القول : إقرأ — قال : ما أنا بقارئ ، ثم إن تكرار القول فيه مايغنى عن الإجابة بعدم القدرة على القراءة : :

« إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ، خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ » .

ليس هناك مجال للشك فى عدم القدرة على القراءة إذ كان أمر الله أن يقرأ فقد علمه ربه أن يقرأ ويكتب بالقلم ، وذلك مما لم يكن يعلم وكان فضل الله عليه عظيما .

قول الشيخ محمد عبده (١) :

كن قارئاً باسم الله ـ من قبيل الأمر التكويني ـ فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن قارئاً كاتباً ، ولذلك كرر القول مرارًا « ماأنا بقارىء » وبعد ذلك جاء الأمر الإلهي بأن يكون قارئاً وإن لم يكن كاتباً .

فإنه سينزل عليه كتاب يقرؤه وإن كان لا يكتب ! والله سبحانه جل شأنه قادر أن يوجد فيك القراءة وإن لم يسبق لك تعلمها لأنك لم تكن تدرى ماالكتاب ـ فكأن الله يقول : كن قارئاً بقدرتى وبإرادتى .

فاذا كان ذلك بشأن القراءة فقط فلم ذكر الله تعالى القلم (الذى علم بالقلم)

---

(١) تفسير جزء عم للشيخ محمد عبده ص ٩٣ .

فالأمر إذن للقراءة والكتابة معاً ، فالقراءة لابد أن تكون لشيء كتبه القلم ، فالله جل جلاله علم القراءة والكتابة بالقلم ، وتلك نقلة كاملة من الأُمية إلى العلم بكامل معانيه – بداية من العلوم الكونية من خلق الإنسان من علق بقدرة العظيم الأعظم مع التعليم للكتابة بالقلم والقراءة لما كتب القلم .

نقلة كلها الإعجاز – فهى من ظلمة الجهل إلى نور العلم بفضل علام الغيوب .

ولذانبه ربنا عز وجل على فضل الكتابة لما فى ذلك من المنافع العظيمة – فما دونت العلوم وما قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ولا كتب الله المنزلة بما فيها القرآن الخاتم الجميع الكتب الذى نزل على الرسول الخاتم للأنبياء والرسل ولولاه لما كتب القلم أمرا منه أمور الدنيا والدين .

ولو لم يكن على دقيق حكمة الله سبحانه دليل أمر الخط والعلم لكفى .

وحقيقة إن محمدًا صلى الله عليه وسلم ماكتب وما قرأ منذ ولادته حتى بعث ، وكان ذلك بعد سن الأربعين ، فنزل جبريل عليه بصحيفة مكتوبة باللغة العربية التى يتحدث بها .

قال ابن ابى حاتم عن سفيان النورى قال :

لم ينزل وحى إلا بالعربية ، ثم إنه نزل كذلك ، وكان جبريل يثبته فى قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يَقْرأه ، وذلك أنه ليس كل مايُقْرأ يحفظ .

نزل به الروح الأَمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين » الشعراء من ١٩٣ ـ ١٩٥

وكان جبريل فى بعض الأَحيان يتمثل رجلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على صورة دحية الكلبى فيخاطبه ويُقْرؤه حتى يَعىَ عنه مايقول .

وعندما أقرأه ربه فى بادىء الأمر وقال : « إقرأْ » وقال : « ماأنا بقارىءٍ » — كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مازال على أُميته حتى لحظة النزول فكرر عليه القول — فكانت نفس الإجابة.

ولو كانت القراءة لشىءٍ غير مكتوب ولكنه ترديد لكلام يسمعه من جبريل ماكانت هناك صعوبة فى القراءة ، فترديد الكلام ليس صعبا ولا عسيراً على الأُمى حتى يقول : « ماأنا بقارىءٍ » لأنه يكرر ألفاظاً سمعها .

ومن حيث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمى لايقرأُ ولا يكتب ، فليس هناك من جواب سوى أن يقول :

« ما أنا بقارىءٍ » لأن ماأُمِرَ بقراءته مكتوب أمامه بحروف عربية واضحة ظاهرة ، ولكى تكون

المعجزة كاملة ــ علمه ربه القراءة والكتابة بالقلم ، وكانت معجزة العلم أول خطاب إلهى وجه إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .

فمحمد صلى الله عليه وسلم ماكان يعلم شيئاً من القراءة والكتابة والعلم قبل أن ينزل عليه الوحى ، وهم يعلمون ذلك تمام العلم .

وفجأة وبدون معلم من البشر جاءهم بهذا الكتاب الجامع المعلم الذى يعجز كل القارئين الكاتبين أهل العلم والفصاحة والبلاغة .

ولو كان يعلم شيئاً من الكتابة والقراءة ولو قليلا قبل نزول الوحى لكان هناك شك وارتياب فيما يقول : ولكنه الإعجاز والدليل القاطع من رب العالمين فقد علم الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم مالم يكن يعلم قبل البعثة حتى أنه

كان يسابق جبريل فى القراءة فنهاه ربه عن ذلك خشية الخطأ ـ لاتتعجل بقراءة ماهو مكتوب أمامك قبل أن يقرأه أمامك جبريل القراءة الصحيحة وذلك لإتمام المعجزة :

فإنك مهما أوتيت من العلم ففوق كل ذى علم عليم :

فَتَعَالَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾

فلا تغتر بما آتيتك من العلم فتسبق جبريل فى القراءة حتى لايكون هناك خطأ فى التبليغ .

فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ (القيامة : ٩٨)

أى انتظر حتى تسمع القراءة الصحيحة من جبريل ثم اقرأ كما علمك

وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما جاء جبريل بصحيفة يقرؤه إياها كان صلى الله عليه وسلم يسبقه فى القراءة :

ويقول عز من قائل : لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ [القيامة من : ١٦ – ١٩]

وكان للحسن البصرى رأى فى التفسير ، فعند تفسير قوله تعالى :

« لا تحرك به لسانك لتعجل به ، إن علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه »

قال ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسيره :

فاتبع أى فاستمع له . أى لا تكون قراءتك مع قراءته بل تابعة لها متأخرة عنها ، وانصت واستمع

للحديث اى تكون حال قراءته ساكت ، والاستماع أخص من الانصات لأَن الاستماع انصات وإِصغاءُ ولا يلزم من السكوت الاصغاءُ .

ثم إِن علينا بيانه أَى ثم أَن علينا أَن تقرأه وفسره غيره .

ببيان ما أَشكل عليك من معانيه

قال :

وهو دليل على جواز تأْخير البيان عن وقت الخطاب أَى لكن لا عن وقت الحاجة (ا . هـ)

وهو الصحيح عند الأُصوليين .

ونص الشافعى لما تقتضيه تم من التراخى ، وأَول من استدل لذلك بهذه الآية هو القاضى أَبو بكر بن الطيب وتبعوه .

وإلا إذا حمل المراد على استمرار حفظه له بظهوره على لسانه فلا .

وقال الآمدى :

يجوز أن يراد بالبيان الإظهار لا بيان المجمل .

ويؤيد ذلك أن المراد جمع القرآن ، والمجمل إنما هو بعضه ولا اختصاص لبعضه بالأمر المذكور دون بعض .

وقال الحسن البصرى :

يجوز أن يراد البيان التفصيلى ولايلزم منه جواز تأخير البيان الإجمالى ، فلايتم الاستدلال .

وتعقب باحتمال إرادة المعنيين الإظهار والتفصيل وغير ذلك لأن قوله بيان جنس مضاف فيعم أصنافه من إظهاره ، وتبيين أحكامه وما يتعلق بها من تخصص وتقييد ونسخ وغير ذلك لأن قول .

بيان جنس مضاف فيعم جميع أصنافه من إظهاره وتبيين أحكامه وما يتعلق به من تخصيص وتقييد ونسخ وغير ذلك كقوله تعالى فى سورة طه :

« ولاتعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه »

نهى عن الاستعجال فى تلقى الوحى من الملك وما يقوته فى القرآن حتى يتم وحيه .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا أتاه جبريل بذلك الوحى المفضل به على سائر الملائكة .

استمع ، فاذا انطلق جبريل عليه السلام قرأه النبى صلى الله عليه وسلم كما قرأ .

قال ابن عباس :

كان عليه الصلاة والسلام يبادر جبريل فيقرأ قبل أن يفرغ جبريل من الوحي حرصاً على حفظ القرآن ومخافة النسيان ، فنهاه الله عزوجل عن ذلك .

وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾

(الإسراء : ١٠٦)

وقرءانا فَرَقْنَاهُ لِتقْرأَهُ على الناس على مهل بتؤدة ورزانة ليسهل عليهم فهمه ويقول عز من قائل :

سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ (الأعلى : ٦٠)

سينزل عليك الكتاب تقرؤه وبإرادتنا وقدرتنا لن تنسى منه شيئاً بعد نزوله عليك ، إلا ماشاء الله أن ينسيكه برفع تلاوته .

والقرآن مأدبة الله التى تفضل الله بها على عباده المؤمنين . عن ابن مسعود رضى الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«إن هذا القرآن مأْدبة الله فاقبلوا مأْدبته مااستطعتم ، إن هذا القرآن حبل الله المتين ، والنور المبين ، والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه ، لايزيغ فيستعتب ، ولايعوج فيقوم ولا تنقضى عجائبه ، ولا يَخْلُقُ على كثرة الرد ، ولا يبلى ولا يفنى من كثرة الرد ، اتلوه فإن الله يأْجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات أما إنى لاأقول : أَلٓم حرف ، ولكن أَلف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف[1]» .

---

(١) تفرد به صالح بن عمرو — وهو صحيح .

فالقرآن غذاء الأمة الإسلامية – غذاء للقلوب والأرواح، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته » .

يدعو صلى الله عليه وسلم المؤمنين للتعلم من نفس المأدبة التى منها نهل وتعلم، لحرصه عليهم.

لم يقل عليه الصلاة والسلام : فكلوا من مأدبته ، ولكنه قال : « فتعلموا من مأدبته » ، والفرق شاسع – واضح بين غذاء العقول والأرواح وغذاء البطون .

لقد كان غذاء الأمم السابقة للبطون ، المن والسلوى – غذاء بنى إسرائيل – أكلوا وتخموا وسئمت نفوسهم وعافت المائدة وطلبوا من نبيهم ماهو أدنى :

والله يقول فى محكم آياته : وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ [البقرة : ٦١]

وهاهم النصارى طلبوا من عيسى عليه السلام أن يدعو ربه لينزل عليهم مائدة من السماء :

ويقول عز من قائل : إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾
(المائدة ١١٢ – ١١٥)

وفى الحديث السابق نرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر المسلمين أن يتعلموا من مأدبة

القرآن : « فتعلموا من مأْدبتة » .

فهل يحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعليم أمته من مأْدبة القرآن دون أن يتعلم وهو مازال على أُميته ؟

إن من لم يتذوق الطعام لايعرف طعمه — وهذا الأمر دليل على أنه ذاق حلاوة العلم بعد أن كان محروما منها أربعين عاماً كاملة .

وفى الحديث :

« أَكبر منافقى أُمتى قراؤُها » — أى الذين يحفظون القرآن المكتوب نفياً المتهمة عن أنفسهم وهم معتقدون تضييعه ، والمنافقوق من عصر النبى صلى الله عليه وسلم إلى أن تقوم الساعة بهذه الصفة لاينقطعون .

والذى يقرأ كلاما سمعه دون علم بالحروف والكلمات فهو يتلو كلاما سمعه فتلاه .

الباب الثامن

العلم

علم العليم وعقل العاقل اختلفا
من ذا الذى منهما يحرز الشرفا
فالعلم قال أنا أحرزت غايته
والعقل قال أنا الرحمن بى عرفا
فأفصح العلم إفصاحاً وقال له
بأينا الرحمن فى فرقانه وصفا
فبان للعقل أن العلم سيده
فقبل العقل رأس العلم وانصرفا

العلم نقيض الجهل والأمية ـ علمه العلم وأعلمه إياه فتعلمه ـ وعلمته الشىء فتعلم ، وعلم القرآن ـ يسره « علمه البيان »علمه القرآن الذى فيه بيان كل شىء .

وفى الأثر : (قيدوا العلم بالكتابة) .

عَلَّم الله تعالى الإنسان العلم بالقلم الذى كان وما يزال أوسع وأعمق أدوات التعليم أثرًا فى حياة البشرية جميعاً ، ولذا كانت الإشارة إليه فى أول ما نزل من السماء .

« إقرأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذّى خَلَقَ ، خَلَقَ الانسانَ مِنْ عَلَق . . إقرأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . الذّى عَلَّمَ بِالْقَلَم * عَلَّمَ الإنْسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ » .

ثم أعقبها فى النزول : « ن. والقلم ومايسطرون »

إذن دون شك أو جدل ـ الله تعالى مصدر العلم والتعلم الذى ليس فى الوجود مصدر سواه سبحانه ، فهو بعزته الذى خلق ، وهو الذى علم « علم الإنسان مَالم يعلم » .

ولِما للعلم من شأن عظيم فالله تعالى يعطيه لمن أحب ، وليس فى خلقه أحب إليه من حبيبه

ومصطفاه ، ولذا كان أول من علمه ربه وأدبه ربه وجعله للخلق معلماً . ويقول عز من قائل

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ [النساء : ١١٣]

ولما أفاض الله تعالى على نبيه من فضل العلم الذى لم يكن يعلمه من قبل كان فرحه شديدًا ، فكان يسبق جبريل فى القراءة حرصاً على حفظه وعدم نسيانه فقال له ربه :

« ولاتعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه ، وقال ربى زدنى علما »

أى لاتعجل بالقرآن قبل أن يُقرئك جبريل القراءة الصحيحة ، وانصت إليه ، فإذا فرغ من القراءة

اقرأ بعده ، فإنك مازلت فى بداية مراحل التعليم وتحتاج إلى العناية وتلقين العلم ، فلا تتعجل وقل رب زدنى علماً على ماعلمتنى ، وظل رب العزة يرعى رسوله ويعلمه حتى لقيه — لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصاً على أن يكون المسلم متعلماً فكان يعمل جاهدًا ليمحو الأُمية فقال صلى الله عليه وسلم : « اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد » .

عن جابر بن زيد رضى الله عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أُناس من أَصحابه وهم يتذاكرون فنون العلم فيما بينهم فقال :

« تعلموا ماشئتم أَن تتعلموا — لن تكونوا بالعلم علماءَ حتى تعملوا به » .

(صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم)

وعن أَبى عبيدة بن الجراح قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم :

« ماأخاف عليكم مؤمناً ولا كافرًا ، أما المؤمن فيحبسه إيمانه ، وأما الكافر فقد أذله الله بكفره ، ولكن أخاف عليكم منافقاً عالم اللسان جاهل القلب يتكلم بما تعرفون ويفعل ماتنكرون » .

والعلم علمان علم باللسان ، وهو حجة الله تعالى على ابن آدم وعلم القلب فذلك العلم النافع .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم انفعنى بما علمتنى وعلمنى ماينفعنى وزدنى علما والحمد لله على كل حال » .

« أخرجه الترمذى عن أبي كريب عن عبد الله ابن نميريه وقال : غريب من هذا الوجه — ورواه البزار عن عمرو بن على الفلاس عن أبي عاصم عن موسى بن عبيدة ، وزاد فى آخره : « وأعوذ بالله من حال أهل النار » .

والعلم تارة يكون فى الأذهان ، وتارة يكون فى اللسان ،وتارة يكون فى الكتابة بالبنان ، ذهنى ، ولفظى ، ورسمى ، والرسمى يستلزمها من غير عكس .

ولقد علم الله تعالى نبيه العلم الكافى للإقناع بالحجة والدليل واللسان ، فى جميع أمور الدنيا والدين ، ولو لم يتفضل عليه بأعلى درجات العلم ماأرسله للخلق معلماً .

ولا يكون العلم كاملاً إلا بالقراءة والكتابة لسهولة المراجعة اللهم إلا لفاقد البصر – ورب العزة متع حبيبه ومصطفاه بنعمة البصر والبصيرة ، ولذا لن يترك من العلم الذى وهبه إياه القراءة والكتابة وهما أقل درجة من العلم الذى علمه وخاصة أن من بين من يدعوهم أهل علم

وفصاحة ، ولو كان ربه علمه شيئاً وترك شيئاً فكيف يُعَلمُ أَهل الفصاحة والبلاغة العلم ويقنعهم بما جاءَ به من عند ربه ؟ علماً أن فاقد الشيءْ لايعطيه.

يقول الدكتور محمد حسنين هيكل فى كتابه (حياة محمد) ص ٣٢ـ٣٣ : إنا نعرف أَن محمدًا صلى الله عليه وسلم كان يبعث إلى القبائل التى تدخل فى الإِسلام واحدًا أَو أَكثر من أَصحابه ليعلمهم القرآن ويفقههم فى الدين ، وكثيرًا ما نقرأ أَن هؤلاء المبعوثين كانوا يحملون معهم أَوامر مكتوبة فى شأَن الدين ، ولقد كانوا يحملون مانزل به الوحى بطبيعة الحال وبخاصة مااتصل منه بشعائر الإِسلام وقواعده ومايتلى منه أَثناء العبادة والقرآن نفسه ينص على وجوده مكتوباً ، وتنص كتب السيرة حين تذكر إسلام عمر قبل الهجرة

بثلاث سنوات أو أربع فإذا كان الوحى يُدَوّن ويتبادل فى ذلك العصر الأَول حين كان المسلمون قلة وكانوا يسامون العذاب ، فمن المقطوع به أَن النسخ المكتوبة كثر عددها وتداولها حين بلغ النبى أَوج السلطة وحين صار كتابه قانون العرب جميعاً .

كذلك شأَن القرآن أَثناء حياة محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك كان شأنه إلى عام بعد وفاته :

بقى مسطورا فى قلوب الذين آمنوا به مسجلة أَجزاؤه المختلفة فى نسخ كانت تزداد كل يوم عددًا ، وكان لزاماً أَن يتطابق إليه هذان المصدران تمام التطابق ، فقد كان القرآن منظورًا إليه حتى فى حياة محمد صلى الله عليه وسلم برهبة اليقين لأَنه كلام الله ذاته ، لذلك كان كل خلاف على

نصه يرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم نفسه كى يزيله .

إذن كان المسلمون عند الخلاف فى ماهو مكتوب من القرآن يقرأونه عليه فيقرؤه عليهم القراءة الصحيحة كما علمه جبريل ، ورب العزة يقول :

﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾

[البقرة ١٥١]

وفى هذه الآية الكريمة يُذَكِّرُ الله تعالى عباده بأعظم نعمة أرسلها إليهم ، وهى إرسال محمد صلى الله عليه وسلم لينير لهم الطريق فيخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ، ويهديهم إلى صراط مستقيم ، فهو يتلو عليهم آيات ربهم ، ويزكيهم أى يطهرهم من الرذائل والدنس ويخرجهم من

الظلمات إلى النور ويعلمهم القرآن ويوضح لهم شريعة الله ويعلمهم مالم يكونوا يعلمون فقد كانوا قبل إسلامهم جهلاء ، فانتقلوا بفضل الرسالة التى جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم علماء أتقياء وأنقياء ، وذلك بفضل العلم الذى علمه الله تعالى لرسوله الذى أرسله إليهم

وفى التنزيل : لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ [آل عمران ١٦٤]

ولقد علم الله تعالى نبيه العلم الذى لم يعلمه أحدا من قبله كما علمه كتب الذين سبقوه :

وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ [آل عمران ٤٨]

علمه بفضله الكتاب ، أى القرآن والحكمة ، وكذلك ماجاء فى التوراة والإنجيل وهى الكتب التى

نزلت على موسى وعيسى ، وعلمه مالم يكن يعلم عندما كان أُمياً لايتمكن من التلاوة ولايعرف الخط :

يقول جل شانه :

وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ

[العنكبوت : ٤٨]

عن أَبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مثل مابعثنى الله به من الهدى والعلم ، كمثل غيث أَصاب أَرضاً فكانت منها طائفة قبلت الماءَ فأَنبتت الكلأَ والعشب الكثير ، وكان منها أَجادب أَمسكت الماءَ فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، وأَصاب طائفة منها أُخرى إنما هى قيعان لا تمسك ماءً ولاتنبت كلأً ، فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه مابعثنى الله به ، فَعَلِمَ وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأْسا ولم يقبل هدى الله الذى أَرسلت به » . (متفق عليه)

وعن أبي أمامة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم » .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمى الناس الخير » .

(رواه الترمذى وقال حديث حسن)

فالعلم حق جاء من عند الحق وعلمه للخلق النبي الحق محمد صلى الله عليه وسلم :

ويقول جل شأنه : وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ⑥ [سبأ ٦]

فالعلم أرفع درجة فى الوجود ، وهو الذى يضىء الطريق الموصل إلى رحمة الله الحى الواحد

الموجود ، ولذا كان أول فضل على آدم بعد خلقه من التراب :

وصدق عز وجل القائل : ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة من ٣١ - ٣٣]

وكلها أيات ومعجزات ربانية يمنحها الخالق جل جلاله لأنبيائه لنصرة الحق والرسالة والوحدانية والنور الذى يبدد دياجير الظلم والظلام

الباب التاسع

العلم من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم

ٱلعلم معجزة آدم عليه السلام

ـ وما أرسل الله تعالى من رسول إلا وله معجزة يعجب لها عقل البشر ، وجميع معجزات الأنبياء من بعد آدم وقتيه . فالفلك معجزة نوح عليه السلام :

فيقول سبحانه وتعالى : وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ [الصافات ٧٥ – ٨٢]

وإبراهيم عليه السلام كانت معجزته أن أنجاه الله تعالى من النار :

قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ
﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟
حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى
بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ
ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا
لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ [الأنبياء ٦٦ - ٧٠]

ويوسف عليه السلام كانت المعجزة الرؤيا الصادقة :

إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا
وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَـٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَـٰبُنَىَّ لَا
تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ
لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن
تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ
كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿٦﴾ [يوسف : ٦ - ٦]

علمه ربه تأويل الأحاديث لتكون معجزة من معجزاته أمام ملك مصر ؛ الذى رأى رؤيا عجز عن تأويلها أكابر الكهنة والعرافين :

ورب العزة يقول : وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ
سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ
يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (٤٣) قَالُوا
أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ (٤٤) وَقَالَ الَّذِي
نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٥)
يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ
عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ
لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٦) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ
فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ
ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ
(٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (٤٩)

[يوسف ٤٣ - ٤٩]

وكانت هنالك معجزة آخرى أن أنجاه الله تعالى من كيد امرأة العزيز عندما راودته عن نفسه فاستعصم ورد الله تعالى عليه كرامته :

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ يوسف ٥٠ - ٥١

وهذا هو أيوب عليه السلام كشف الله تعالى مابه من ضر ، ليكون آية معجزة لقومه :

ولإتمام المعجزة : وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ [الأنبياء : ٨٣ - ٨٤]

وهذا موسى عليه السلام كليم الله ومعجزاته التسع مع فرعون وقومه :

فقال عز من قائل : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

كما وصفهم بقوله أيضا : ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾

[الأعراف ١٠٣ - ١٢٦]

ومن نبي إلى نبي . . وأمة . . إلى أمة أخرى . . لتكون فوق طاقتها وعلمها وتقدمها . . لتكون المعجزة الدالة على قدرة الخالق جل شأنه . . والقرآن يقص علينا قصة

النبيين داود وسليمان عليهما السلام فيقول :

وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ
فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ
وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ
وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ
بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي
بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾
وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ
وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ [الأنبياء ٧٨ — ٨٢]

والمسيح عيسى بن مريم عليه السلام عبد الله ورسوله ، كان قومه يشتهرون بالطب والحكمة ـ فكانت معجزته أن يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله ، ويكلم الناس وهو فى المهد وقد خلقه الله تعالى كخلق آدم خلقه من تراب :

وهذه معجزة أخرى من معجزاته جل شأنه تبين فضل الله على أنبيائه بمدهم بمعجزات تعلى راية الحق وتمحق وتطمس الباطل بمشيئته وكن فيكون .

فقال تعالى وهو أصدق القائلين : إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ
يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى
ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا
وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ
قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن
فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾
وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ
أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ
وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ
وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾
وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ
وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ

فَاعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ
قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ
وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا
مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ
قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ
فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ
عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ
﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ
عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ
[آل عمران ٤٥ – ٥٩]

كل معجزات الأنبياء محددة بوقت معلوم ، تنتهي بانتهاء وقتها بإذن ربها ، أما المعجزة الدائمة إلى يوم يبعثون ، معجزة خاتم الأنبياء والرسل

صلى الله عليه وسلم، فكان كلام رب العالمين المعجزة الكبرى وهى القرآن الكريم الذى سماه الله تعالى من علياء سمائه « الكتاب » والكتاب لابد أن يكون مكتوبا لا يميز ولا يعرف إلا بالقراءة . أنزله رب العالمين على النبي الأمي، يقرؤه ويكتبه بعد فترة الأمية التي طال أجلها، وليكون المعجزة الكبرى لحبيبه ومصطفاه من خلقه، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العلم ويقدره ويدعو إليه – قال صلى الله عليه وسلم : « من عمل بما علم ورثه الله مالم يكن يعلم » .

ولإهتمامه بالعلم كان حريصاً على تعلم المسلمين جميع اللغات كتابة وقراءة ، ففى غزوة بدر الكبرى جعل فداء الأسير أن يعلم عشرة من المسلمين العلم قراءة وكتابة ، فكيف يحب شيئاً ويدعو إليه وهو يجهله

وقال حكيم : كل وعاءٍ يضيق بما فيه إلا وعاءَ العلم فإنه يتسع .

والعلم من فضل الله تبارك وتعالى على عباده وبقدرته جل شأْنه خلق وعلم .

عن أَبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إن أَول شيءٍ خلقه الله القلم ،ثم خلق النون ، وهى الدواة ، ثم قال اكتب ـ قال : وما أَكتب ؟

قال : أَكتب مايكون وما هو كائن من عمل أَو رزق أَو أَثر أَو أَجل . فكتب ذلك إلى يوم القيامة » .

وذلك قوله تعالى :

« ن . والقلَمِ ومايَسْطُرُونَ » ثم ختم على القلم فلم يتكلم إلى يوم القيامة ، ثم خلق العقل وقال : وعزتى لأَكملنك فيمن أَحببت ولأُنقصنك فيمن أَبغضت »

«رواه ابن عساكر عن ابى عبد الله ولى بنى أميه عن أبى صالح عن ابى هريرة » .

والله تعالى جلت قدرته ، وعظمت مشيئته ، علم الإنسان بالقلم ، علمه مالم يكن يعلم ، وكل ذلك بالقلم الذى كان وما زال وسيظل أقوى وأعظم وأعمق أدوات التعليم أثرا فى حياة الإنسان فبقدرته جل جلاله ، خلق العلم وهو سبحانه الذى يعلم قدرة ، ولذلك عندما اختار الله تعالى محمد صلى الله عليه وسلم ، واصطفاه من بين خلقه أجمعين وهو الأمى الذى لايعلم من أمر العلم شيئاً . فكان أول فضل غمره به ، الأمر بالقراءة لما هو مكتوب أمامه ، وكانت البداية القراءة فى علم الكون ووجود الخلق من العدم . بيانا لعظمة الخالق الذى بقدرته خلق ، ثم كانت القراءة لما كتب القلم —

« الذى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ » فكانت البداية إنطلاق العلم — « عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَالَمْ يَعْلَمِ » ثم تبع ذلك فى النزول « ن * والْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ » فكانت العلوم والفنون والمعرفة التى لايمكن أن تكون إلا بالقراءة لما كتب القلم — فما دونت العلوم والفنون والحكم والكتب السماوية ، وأخبار الأولين ومقالاتهم إلا بالقراءة ما كتب القلم .

قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : « العلم يحفظك وأنت تحفظ المال » .

وتلك المعجزة الكبرى والنعمة العظمى من الله تبارك وتعالى لرسوله ، وللمؤمنين ،علمه القرآن يتلوه ، وبالقلم يكتبه فأعجز أئمة البلاغة والفصاحة والطب والهندسة ، وجميع علماء الأرض فى كل الفنون فكان صلى الله عليه وسلم أفصح الناس لساناً

وأقواهم بيانا وأعلمهم باوضاع اللغة وجميع فنون الحرب والسلم ، أفلا ينفي ذلك عنه صفة الأمية بعد أن أختاره ربه رسولا ؟

ولقد ذهب أبو الوليد الباجى . وهو فقيه أندلسى وأبو ذر الغفارى .. وأبو الفتح .. والنيسابورى .. إلى إقرار تعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكن بعد أن شهر الإسلام وأمن الارتياب .

الباب العاشر

التعليم الإلهى

تعليم البشر ينسى وتعليم الله لا ينسى :

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى عهدوه أمياً فيما بينهم شأنه شأن أمته فهم لا يكتبون ولا يحسبون ، وإذا بواحد منهم وهو الصادق الأمين صاحب الخلق العظيم يأتيهم فجأة بقرآن يعجز العالمين جميعاً إنسهم وجنهم — وقف الجميع أمامه فى عجز كامل من أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً لأنه ليس من كلام البشر : حيث يقول جلت قدرته عن هذه المعجزة الكبرى التى وهبها لحبيبه ومصطفاه

﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء ٨٨]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مامن نبي إلا وأُوتي من الآيات مامثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى أوتيته وحياً أُوحى إلىَّ فأَنا أَرجو أَن أَكون أَكثرهم تابعاً يوم القيامة »

ورب العزة الرحمن الرحيم أَنزل القرآن على حبيبه رحمة للعالمين وخاصة المؤمنين . وجعله أَمانا فى الدنيا لخير المؤمنين ، ففيه الأَمر بحسن معاملة من يلجأُون إلى غير الله ويكفرون به سبحانه .

وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ

[الأنعام ١٠٨]

ولقد افترى المشركون على رسول الله وقالوا :

إن هناك بشرًا يعلمه ، هذا القرآن يأْتيه به وكانوا يقصدون الغلام الأَعجمى وكان اسمه جبر وهو عبد لبعض بنى الحضرمى ولغته غير لغة القرآن وهى العربية الفصحى ، وهى لغة النبي الذى يحدثهم

صلى الله عليه وسلم، أما جبر فهو أعجمى اللسان .
وما دفعهم إلى هذا الإفتراء إلا الذى عهدوه فى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمية منذ أن نشأ بينهم ، فكان العجب كل العجب كيف أصبح الأمى يفحم أبلغ البلغاء وأفصح الفصحاء ويعلم الخلق الكتاب والحكمة ويعلمهم مالم يكونوا يعلمون ، قال الزهيرى وسعيد بن المسيب : إن الذى قال ذلك رجل من المشركين كان يكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فارتد بعد ذلك عن الإسلام ، وافترى وقال هذه المقالة قبحه الله .

ولقد رد الله تعالى عليه فقال تعالى وهو أصدق القائلين :

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل ١٠٣]

إذن ماهو العلم الذى يشيرون إليه فى قولهم ؟ أليس هو علم القرآن الذى لم يترك كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها فهو يشتمل على القراءة والكتابة :

« مافَرَّطْنَا فى الْكِتَابِ مِنْ شَىءٍ »

ألا يدل ذلك على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلم شيئاً أعجزهم . . لم يعهدوه فيه . . من قبل أن ينزل عليه الوحى – إلا أنه أصبح حقيقة واقعة يلمسونها بأنفسهم . . علماً وعملا . . وليست قصصاً يسمعونها من أحد عن شيءٍ سبق ؟

الباب الحادي عشر

التلاوة

تلا يتلو تلاوة ـ تلا تلوا تبعته .

يقال : مازلت أتلوه حتى أتيته ، أى تقدمته وصار خلفى .

وقيل : معنى تلاها حين استدار فتلا الشمس الضياء والنور وتتالت الأمور . تلا بعضها بعضاً ، وأتليته إياه اتبعته

تلا يتلو تلاوة يعنى : قرأ يقرأ قراءة .

وقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾
[البقرة ١٢١]

أى يقرأونه..ويؤمنون به..ويتبعون ماجاء به حق اتباعه ويعملون به حق عمله .

وفلان يتلو كتاب الله أى يقرؤه ويتكلم به ،

وفلان يتلو فلانا أى يحاكيه ويتبع فعله .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتلو القرآن حق تلاوته ويقرؤه منذ أن نزل عليه به جبريل عليه السلام .

وقوله تعالى . ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [العنكبوت ٤٥]

وقد أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتلو على قومه من قريش القرآن ويعلمهم ويبين لهم ماحرم ربهم عليهم :

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

[الأنعام ١٥١]

ورب العزة أرسل الأنبياء والرسل مبشرين ومنذرين ، فمن اهتدى من الخلق فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ، وما ربنا تبارك وتعالى الحكم العدل بظلام للعبيد :

■ وقال تعالى : ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا الْقُرْءَانَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [النمل ٩٢]

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عليهم القرآن فمن استجاب فقد نجا ومن أعرض فقد هلك .. ورب العزة يقول لرسوله «لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ » إن وظيفتك أن تقرأ عليهم ماأُنزل إليك من كتاب ربك ، وبذلك تكون قد بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ونصحت الأمة وربك شاهد عليهم ، وما من صغيرة ولا كبيرة ولا مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا

أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب أحصاه الله تعالى فى كتاب واضح مبين :

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾ [يونس : ٦١]

ولقد كان الخلق فى ظلام دامس وضلال وجهل وأُمية وجور ، قبل أن يبعث فيهم رسولا منهم أُمياً يعرفهم ويعرفونه حق المعرفة ، ويشهدون له بالأُمية والأَمانة وحسن الخلق والصدق ثم يكون الإعجاز الذى لم يسبق له مثيل ، أَن يكون هذا الرجل بعد سن الأَربعين وهى المدة التى قضاها فى حقل الأُمية متعلماً متحدثاً قارئاً كاتباً يفوق القراء والكاتبين والعلماء فى كل فروع الحياة الدنيا والآخرة .

عجباً ! ! إنه لم يتعلم على يد بشر كما تعلم

العلماء والفصحاء فالإعجاز كل الإعجاز هذا العلم الذى أخرسهم جميعاً وأصبحوا كالتلميذ أمام الأُستاذ ، وأى أستاذ - فقد علمه العليم الخبير العلم الذى لم يسبق أن تعلمه أحد من العالمين ، وذلك لأن الله تعالى يُعِدُّه لرسالة عظمى فيها الخير البشر أجمعين - فبداية العلم لآدم علمه الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة المقربين فأعجزهم وكان العلم الذى وهبه محمدًا صلى الله عليه وسلم العلم الخاتم للرسول الخاتم فأعطاه ربه من العلم مالم يعطه أحدًا من العالمين فصار يتلو الكتاب ويعلم الخلق أجمعين ، وذلك دليل على أن الله تعالى لم يبخل عليه بأى نوع من العلوم والفنون والكتابة والقراءة ، ولو لم يُعَلَّمْ فكيف يُعَلِّم ، وفاقد الشيء لا يعطيه كيف يُعلم الكتاب والحكمة وهو لا يَعْلم ؟

حيث يقول جل شانه :

هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ [الجمعة ٢]

ومن يتلو الكتاب ،لابد أن يكون عالماً به ،عاملا بما فيه ،ليس لمجرد الكتابة والقراءة ولقد قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم عمرا قبل الرسالة ولو شاء الله تعالى لظل على أُميته ولكنها رحمة الله تعالى بالعالمين . حيث يقول جل شانه :

قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٦ [يونس ١٦]

صلاة وسلاماً على النبي العالم المتعلم ،سيد خلق الله أَجمعين الذى يتلو الصحف المطهرة بما فيها من كتب قيمة ، الذى جعله الله البينة الواضحة المضيئة المنيرة للذين كفروا من أَهل الكتاب والمشركين :

حيث يقول عز من قائل :

لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣) وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ

[البينة ١ – ٤]

فكيف يكون أُمياً يجهل القراءة والكتابة وهو الذى يتلو الصحف المطهرة : بما فيه من كتب قيمة – وعلى مَنْ ؟

على الذين كفروا من أهل الكتاب الذين كانوا يدينون باليهودية والنصرانية :وهم أشد كفرا من المشركين الذين لا كتاب لهم – وهم الذين قال الله تعالى فى حقهم :

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ

[البينة ٦]

خاتمـــة

لو أمعنا النظر فى مخاطبة الله تبارك وتعالى لرسوله الكريم ، أو عند ذكره ووصفه ، لاتضح لنا أن الله سبحانه وتعالى لم يصفه بالأمية سوى فى آيتين نزلتا بمكة فى بداية الدعوة فكان الوصف بما عرف بين القوم به من صفة الأمية بقوله تعالى فى الآية التالية :

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ
ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ
يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ
وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى
كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟
ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ الأعراف ١٥٧

وفى الآية التى تليها :

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف ١٥٨]

وصفه ربه بالأمية التى عهده قومه بها – وأمر الله بين الكاف والنون (كن – فيكون) تحول النبي الأمى بفضل ربه أعلم العلماء وأفقه الفقهاء على الإطلاق ، ولذا لم يذكر القرآن الكريم صفة الأمية بعد ذلك لانتفائها عنه صلى الله عليه وسلم .

﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾
[آل عمران ٦٨]

ويقول عز من قائل :

﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة ٨١]

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ [الأنفال ٦٤]

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ » الأنفال ٦٥

مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ »

[الأنفال ٦٧]

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ
خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾

[الأنفال ٧٠]

قال تعالى : وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ
خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ [التوبة ٦١]

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ
جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ » [التوبة ٧٣]

■ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟
أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾
[التوبة ١١٣]

وقال: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ
فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ
تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة ١١٧]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾﴾ [الأحزاب ١]

■ وقال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ
وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ
وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي
ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾﴾ [الأحزاب ٦]

كما وصفهم بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ
يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ
يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾
[الأحزاب ١٣]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا
فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ [الأحزاب ٢٨]

قوله تعالى : يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾ [الأحزاب ٣٠]

وقال : يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾

[الأحزاب ٣٢]

مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ﴿٣٨﴾ [الأحزاب ٣٨]

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ الأحزاب ٤٥

ورب العزة يقول لرسوله : يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٠﴾ [الأحزاب ٥٠]

■ يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ [الأحزاب ٥٣]

■ القرآن الكريم أصدق تعبير عن هذا المعنى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾

[الأحزاب ٥٦]

« يأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا »

(الأحزاب ٥٩)

يقول تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ
صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ
أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾ [الحجرات ٢]

وفي ذلك يقول القرآن الكريم : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ
يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ
أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا
يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ ۝١٢﴾ [الممتحنة ١٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ
وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ
بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ
نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ۝١﴾ الطلاق ١

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝١﴾ [التحريم ١]

■ وقال تعالى : ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٣﴾

[التحريم ٣]

ويقول عز من قائل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٨﴾ [التحريم ٨]

والله يقول فى محكم آياته : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾

[التحريم ٩]

أَنبأَنا أَبو المكارم التيمى أَنبأَنا أَبو على الحداد ، أَنبأَنا أَبو نعيم ، وأَخبرنا سليمان بن أَحمد أَخبرنا محمد بن يحيى بن منده أَنبأَنا أَبو بكر بن أَبى

النضير ، أخبرنا أبو عقيل الثقفى أخبرنا مجالد ، أنبأنا عون بن عبد الله بن عتبة عن أبيه قال : مامات النبي صلى الله عليه وسلم حتى قرأ وكتب عبد الله له رؤية – برك عليه نبي الله صلى الله عليه وسلم ودعا له . .

وما المانع من جواز تعلم النبي صلى الله عليه وسلم الكتابة والقراءة بعد أن كان أمياً حتى ولو من كثرة ما أملاه على كتاب الوحي وكُتَّابِ السنن والكتب إلى الملوك ، فذلك مما يؤكد أنه عرف الخط وفهمه وكتبه .

فقد كان صلى الله عليه وسلم يخط الكتب الملوك ، كما هو مدون فى كتاب الطبقات لابن سعد ولقد ذكرنا بعض هذه الكتب .

ولقد ثبت فى صحيح البخارى كما تقدم أنه صلى الله عليه وسلم كتب اسمه الشريف يوم الحديبية (محمد بن عبد الله) .

وكان أبو عوانة الوضاح بن خالد يقرأْ ولا يكتب ، وكان يستعين بمن يكتب له ، وكان يقرأْ الحديث ، وكان لأَهل البصرة مثل زائدة .

وقال ابن مهدى : أَبو عوانه وهشام كابن أَبى عروبة وهمام .

وقال يحي بن سعيد : أَبو عوانة من كتابه أَحب إلى من شعبة من حفظه ، وأَبو عوانة هو الذى يقرأ ولا يكتب .

فهل بعد هذا القول الفصل نُصِرٌّ على أُميته صلى الله عليه وسلام ، صلاة وسلاماً عليك ياسيد

المتعلمين والمتفقهين : وسيد خلق الله أجمعين : وأفضلهم علما وعملا :

والحمد لله رب العالمين

عطية عبد الرحيم عطية

فهرس

★★ مختارات من كتاب ومطبوعات الشعب :

نسمات ايمانية
- ☐ شعر : دكتور أحمد هاشم

ملامح دينية
بقلم زكى مبارك
- ☐ اعداد وتقديم : كريمة زكى مبارك

صفة الجنة وأهلها فى الكتاب والسنة
- ☐ د. محمد كمال شبانه

المختار من احاديث الرسول
- ☐ جمع وشرح : محمود خاطر

محمد نبى البر
المختار من سيرة بن هشام
- ☐ تحقيق : ابراهيم الابيارى

الأنبياء فى القرآن الكريم
- ☐ محمود الشرقاوى

محمد رسول الحرية
- ☐ عبد الرحمن الشرقاوى

محمد محرر العبيد
- ☐ شوكت التونى المحامى

محمد والعقل
- ☐ حسن الحفناوى

ارشاد السارى لشرح صحيح البخارى
- ☐ عطية عبد الرحيم عطية

النبى محمد والسياسية الدولية
- ☐ د. مصطفى كمال وصفى

محمد صلى الله عليه وسلم
أريج من سيرته وقبس من شريعته
- ☐ محمد محمد الدهان

عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم
- ☐ عباس محمود العقاد

من تلاميذ النبى
- ☐ صلاح عزام

سيرة الرسول بالموال الشعبى
- ☐ عبد الفتاح شلبى

مشرق النور
- ☐ أبو بثينة (محمد عبدالمنعم) ومجموعة من كبار الزجالين

مطبوعات الشعب
ثقافة وعلوم انسانية لكل الشعب

●● تزخر المكتبة الاسلامية بالعديد من الدراسات والمؤلفات التى تتناول عبقرية الرسول صلى الله عليه وسلم وجوانب شخصيته الخصبة ، واليوم يقدم لنا الكاتب الاسلامى الكبير الشيخ عطية عبد الرحيم عطية هذه الاضافة الهامة الجوهرية بين دفتى دراسته النادرة حول ((محمد رسول الله النبى الامى الذى علمه ربه)) وهو بهذه الدراسة يجيب على العديد من التساؤلات التى تدور حول ((أمية وعبقرية الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)

●● ويعتمد المؤلف فى توضيحه لوجهة نظره على أدق المصادر والمراجع والاسانيد : القرآن الكريم ورسائل الرسول الى الملوك والامراء وشهادة علماء الغرب وفلاسفته ومستشرقيه الى جانب العديد من المفكرين والكتاب ليقدم لنا فى النهاية لوحة رائعة تبرز لنا الجوانب الجوهرية فى شخصية النبى الأمى الذى اصطفاه ربه ليكون معلما وهاديا وقائدا للبشرية جمعاء يخرجها من ظلمات الجهالة الى أنوار الحق والخير والعدالة والرشاد .

●● ومن هنا تكمن قيمة وأهمية هذا الكتاب للمكتبة الاسلامية .

١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م